مذكرات عماد حمدى

أشهر فتى شاشة

ايريس نظمى



قريبا
بسينما أوبرا

سينما انترناشونال | عاطف سالم وعمر ذو الفقار

تقدم

أحمد زكي في النمر الأسود

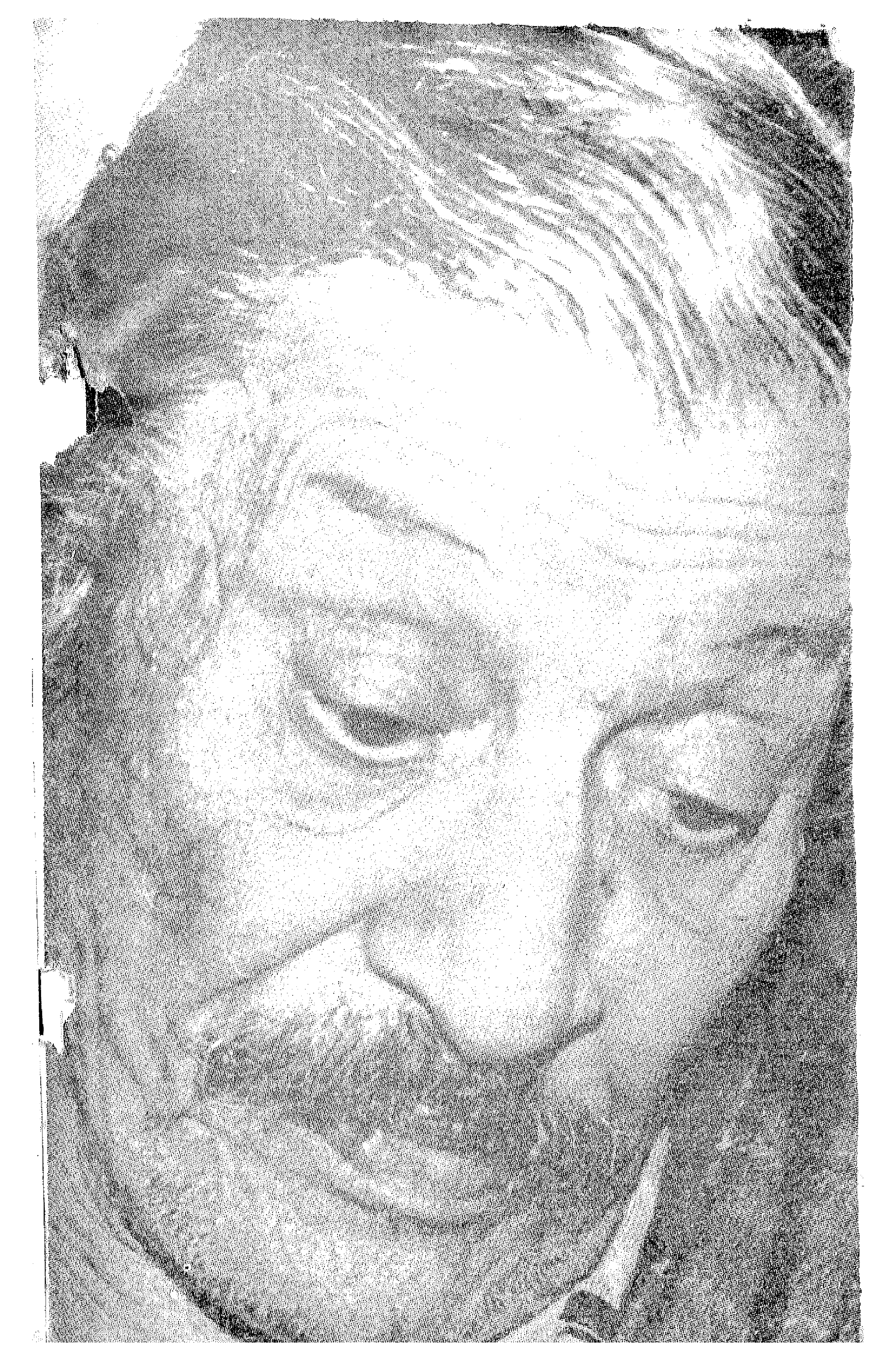
إخراج عاطف سالم



مذكرات عماد حمدى
أشهر فتى شاشة



ايريس نظمى



مذكراته . .
أغرب من كل أفلامه

رحل اشهر فتيان الشاشة المصرية . . فمهما جاء بعده من نجوم الفن . . ومهما حقق الممثلون من شهرة ونجاح . . ومهما حصلوا على جوائز . . سيظل عماد حمدى هو (الفتى الأول) الذى لن يتكرر كثيرا . . لقد غمره جمهوره بحب ليس له مثيل . . ولقد شعرت بذلك الحب الكبير عندما كنت أكتب مذكرات الفنان الكبير الراحل لمجلة آخر ساعة . .

عشرات الرسائل كانت تصلنى اسبوعيا من داخل مصر ومن خارجها . . من الدول العربية . . ومن اوربا ومن امريكا . . من مواطنين مصريين وعرب . . كل منهم يعرض خدماته . . كلمات مؤثرة كلها حب ووفاء للفنان الكبير . . جميعهم كانوا متألمين من اجله ومستعدين للمساعدة والمساهمة فى علاجه . . كل منهم يسأل نفس السؤال ـ ما الذى استطيع ان افعل للفنان القدير الذى اسعدنا ؟ نريد أن نخفف عنه . . ان نقف إلى جانبه فى ايام الوحدة . . ماذا نستطيع أن نفعل ؟ كيف نساعده ؟ كيف نخفف عنه آلامه النفسية ؟ وكنت احمل الخطابات وأذهب إليه فى شقته المتواضعة التى لا تليق بفنان كبير مثله . . لم يكن فى ايامه الأخيرة قادرا على القراءة . . فقد بدأ بصره يضعف . . وكانت زوجته فتحية شريف هى التى تتولى قراءة خطاباته . . والصحف اليومية . . الزوجة الأولى الوفيه (أم نادر) . . كانت دائما إلى جانبه . . وكنت أنتظر من الفنان الكبير ردا على هؤلاء المعجبين المشغولين به فى ايامه الأخيرة . . والذين يعرضون عليه خدماتهم . . لكنه كان يكتفى بالصمت . . وكنت احترم صمته .

لقد مرت عملية كتابه مذكرات عماد حمدى بمرحلتين . . المرحلة الأولى التى كان ما يزال فيها متمتعا بصحته . . وقوة ذاكرته . . وروحه المرحه . . وبتعليقاته الذكية الساخرة . . كان ما يزال يشعر بدفء الحب الأسرى . . خاصة مع توأمه الذى هو جزء منه . . الديبلوماسى (عبد الرحمن حمدى) . . الذى لم يكن متفقا معه فى الملامح والشكل

فقط . . بل كان متفقا معه أيضا فى الطباع . . والعادات . . والأفكار . . يسعد إذا كان توأمه سعيدا . . ويحزن إذا كان حزينا . . حتى لو كانت تفصل بينهما الوف الأميال .

كانت علاقة روحية قوية بين الأثنين . . وعندما أعتزل أخوه عبد الرحمن العمل الدبلوماسى كان مكانه الدائم شقة عماد حمدى حيث يمضيان معا أوقات الفراغ فى لعب (الطاولة) . . وكانت أسعد لحظات عماد حمدى فى أيامه الأخيرة هى تلك التى يقضيها مع توأمه وهو يحكى له بلباقة عن ذكرياته فى الهند . . والصين . . والاتحاد السوفيتى وفى بقية البلاد التى زارها وعاش فيها بحكم عمله الدبلوماسى . . كان توأمه عبد الرحمن محدثا لبقا . . خفيف الروح . . لطيف المعاشرة . . فكان يخفف عنه كثيرا فى الوقت الذى غاب عنه فيه أقرب الأصدقاء والزملاء . .

وكان هناك سبب آخر لحضور توأمه الروحى إليه كل يوم . . قال لى عماد حمدى أن أخاه عبد الرحمن لم يكن مثله سعيدا فى حياته الخاصة . . فكان يفضل أن يحضر إليه يوميا . . ليتبادلا الشكوى . . وليخففا عن بعضهما البعض . . لقد اتفقا فى كل شىء . . فى الشكل الخارجى . . وأيضا فى الفشل فى الحياة الزوجية . . تطابق غريب وعجيب لا يكاد يصدقه عقل . . ولذلك كانت تلك المرحلة الأولى من لقاءاتى مع الفنان الكبير عماد حمدى . . كانت مرحلة طبيعية وعادية . . كنت لا أسأل كثيرا . . واكتفى بالانصات للفنان الكبير . . لباشكاتب استديو مصر وهو يحكى لى بذاكرة قوية حديدية كنت أحسده عليها . . ويسترسل دون توقف ذاكرا كل التفاصيل . . بل تفاصيل . . الأيام . . والأحداث . . والمواقف الحرجة . . والتواريخ . . والأسماء . . كان يتذكر كل شىء . . ولذلك لم أكن أسأل كثيرا . . واكتفى بتسجيل كلامه . . وذكرياته . . ورحلته الطويلة التى بدأت فى استوديو مصر الذى كان يعمل فيه موظفا بعد تخرجه فى كلية التجارة . . كانت حياته مشوقةبأحداثها . . اللقاء الهام مع طلعت حرب مؤسس استوديو مصر . . ثم اختياره لبعض الأفلام الارشادية التى انتجتها وزارة الصحة لتوعية الفلاحين . . ثم وقوفه امام الكاميرا . . والفشل الأول . . ثم النجاح الكبير الذى جعل كل المخرجين والمنتجين يختارونه بطلا لأفلامهم . . قصة طويلة فيها مذاق النجاح فى العمل السينمائى ومرارة الفشل فى الحياة العائلية . . لماذا انفصل عن زوجته الأولى المنولوجست التى كانت شهيرة فى زمانها (فتحية شريف) . . وقصة لقائه الأول مع الفنانة شادية فى « قطار الرحمة » الذى

كان متجها إلى أقصى الصعيد حاملا مجموعة من المطربين والمطربات الذين تبرعوا لاحياء تلك الحفلات لأهداف وطنية . . وكان عماد حمدى كنجم سينمائى معروف مساهما بتقديم المطربين والمطربات فى تلك الحفلات . . وكان لقاؤه الأول مع الفنانة شادية . . وقصة حب من أول نظرة . . ومع عودة قطار الرحمة من رحلته الصعيدية . . تزوج عماد حمدى الفنانة شادية التى ظل حتى آخر أيامه يذكرها بالخير . .

فقد كانت تزوره من حين لآخر . . وتسأل عنه بإستمرار . كان دائما يحدثنى عن امتنانه لها . . وتأثره بسؤالها عنه . . وكيف أنها أرسلت له سيارتها اكثر من مرة لكى تحمله إلى الطبيب . . والعجيب أن (الزوجة الأولى) فتحية شريف كانت دائما تتحدث بحب شديد عن (الزوجة الثانية) شادية . . دائما كانت تذكر خدماتها ومواقفها الانسانية فى أيام الشدة . . والمرض . . والوحدة القاسية . . كان الأثنان متفقين فى حبهما الواحد المشترك للرقيقة شادية . .

كانت تلك المرحلة الأولى من تسجيل مذكراته . . مرحلة وردية فيها التفاؤل . . والدفء الأسرى . . وايضا العمل السينمائى المتواصل . . فقد كان عماد حمدى مايزال مطلوبا فى الاستديوهات والأفلام الجديدة .

ثم توقفت بسبب ظروف خارجة عن إرادتى . . ولم أكن منتظمة فى الذهاب إليه . . وعدت بعد اربع سنوات لكى استكمل بعض الجوانب الناقصة التى تصورت أنها ضرورية حتى تأخذ المذكرات شكلها الكامل . . عدت إليه لأشعر بجو مختلف . . وبظروف عكسية . . فقد حدثت فى تلك السنين الأربع تغيرات كبيرة ومؤلمة فى حياته . . فقد أعز الناس إليه . . توامه الروحى (عبد الرحمن) كان صدمة كبرى لم يقدر قلبه المريض على تحملها . . وأصابته حالة اكتئاب نفسى . . أصبح زاهدا فى كل شىء . . بل وغير راغب فى الحياة . . شعر بانه فقد حياته كلها . وبدأت مرحلة العلاج . . لكن اليأس المرير كان اقوى من كل شىء . . ومع الصدمة وإزدياد المرض . . وغياب الأصدقاء . . قلت أيضا فرص العمل . . بدا يبتعد عن الاستديوهات . . وكان آخر ادواره (سواق الأتوبيس) . . والغريب انه مات فى الفيلم . . وعندما اقنعه المخرج على عبد الخالق وكاتب القصة والسيناريو محمود ابو زيد بالعمل فى فيلم (العار) . . عمل فقط يوما واحدا . . لكن الجزء الذى تم تصويره احترق فى المعمل ولم يعد صالحا . . وشعر عماد حمدى بعدم الرغبة [illegible] التصوير . .

وذات مرة كنت ازوره ووجدته غير قادر على الكلام . . وسألته لماذا لا تستدعون طبيبا ـ قال عماد حمدى بمرارة ـ (لأن الطبيب الذى يريحنى .. الدكتور عوض .. يرفض ان يتقاضى منى مليما واحدا) !
فى تلك المرحلة الثانية لاستكمال مذكرات الفنان الكبير . . كنت اشعر فى كل زيارة بإنقباض نفسى شديد . . فلم تكن الشقة المتواضعة التى يعيش فيها ايامه الأخيرة تليق بفنان مثله لدرجة انى لم اكن أجد حتى مكانا اضع فيه جهاز التسجيل اثناء الحوار معه . . حتى المقعد المناسب لم يكن موجودا . . وهذا ما كان يؤلمنى . . ذلك النجم الكبير الذى كسب الوف الألوف لم يعد يجد حتى تكاليف العلاج . . فزيارة الطبيب تكلفه خمسين جنيها فى المرة الواحدة . . ولم يعد بإمكانه دفع ذلك المبلغ فى كل مرة . .
وكان هو عزيز النفس يرفض رغم كل تلك الظروف أن يطلب مساعدة أو عونا من احد . . حتى من المعجبين الذين ابدوا رغبتهم فى مساعدته . . رفض ان يطلب منهم شيئا . . وما كان يزيد من شعورى بالأسى أن ذاكرته لم تعد كما كانت قوية . . أصبح يتذكر بصعوبة . . اختلطت عليه الأيام والتواريخ والمواقف . . وكانت مهمتى فى تلك المرحلة الثانية أكثر صعوبة . . فقد كان مطلوبا منى ان اذكره بما قاله فى جلساتنا القديمة . . وحوارى معه كان دائما مسجلا . . كان دائما (جهاز التسجيل) الذى يبقى شاهدا على أن حوارى معه . . ومذكراته التى خص بها آخر ساعة كانت واقعية خيالية وهمية ! كانت صورته الأخيرة التى إنفرد بتصويرها الزميل احمد عبد العزيز الذى رافقنى اثناء لقاءاتى الأخيرة مع الفنان الراحل عماد حمدى . . كانت تلك الصورة صدمة كبيرة لمئات والوف المعجبين . . هزتهم هزا . . أبكتهم . . أحزنتهم كثيرا . . لم يتوقعوا ان يروا فتى الشاشة . . وفتى الأحلام القديمة . . الذى يجد فيه كل فرد احلامه وذكرياته القديمة . . صباه . . وشبابه . . واحلى ايام الماضى . . شعر كل من احبه بالصدمة عندما راى صورته الأخيرة . .
واذكر انى قلت له يومها عندما رايت شعره مهوشا غريب المنظر (استاذ عماد . . ممكن تسرح شعرك قبل التصوير) . .
لكنه أشاح بيده بغير إهتمام . . وترك شعره دون ترتيب . . كان زاهدا فى كل شىء . . حتى فى الأضواء . . كسب الكثير . . وخسر اكثر . . ذاق حلاوة النجاح . . وعرف مرارة الفشل فى زيجاته الثلاثة . . وحصل على اكبر الجوائز . . لكن ماذا تفعل الجائزة الادبية لفنان يعانى من أزمة مادية طاحنة . .

وزادت حالته النفسية سوء ـ بعد وفاة زوجته الأولى الوفية (فتحية شريف) التى كانت دائما إلى جواره فى السنين الأخيرة .. بعد أن أصبح لا يقوى على قدميه . . كان وفاؤها رائعا . . عادت (أم نادر) لتشاركه محنته . . وشاءت الظروف أن ترحل هى عن الدنيا قبله بشهور . . وهذا ما جعل شعوره بالاكتئاب يزداد . . أصبح زاهدا فى كل شىء . . راغبا فى الموت وأذكر فى آخر لقاء لى معه . . كلماته المؤثرة : « لم أعد سعيدا بتلك الحياة . . الم يحن الأجل بعد . . لماذا ينسانى الموت ؟ »

وفى صباح السبت ٢٨ يناير ١٩٨٤ تحقق له ما أراد الراحة من تلك الحياة القاسية المؤلمة . . حياة بلا أصدقاء . . ولا أحباء . . حياة شغلت كل الناس . . كل إنسان أصبح مشغولا بنفسه . . لم يعد التليفون يدق كما كان فى ايام المجد والنجاح والصحة والعافية . . لم يعد أحد يسأل أو يهتم . . صوت الفنانة مديحة يسرى . . وصوت الفنانة شادية . . صوتان حنونان وحيدان كانا يسألان عنه . . فيشعرانه بأن الدنيا مازال فيها خير . . وأن الوفاء لم يمت كما يقولون . .

رحل نجم النجوم . . اشهر فتيان السينما المصرية لم يترك رصيدا فى البنوك . . بل ترك رصيدا من الحب فى كل القلوب . . لأنه كان قريبا منا جميعا . . نرى فيه الأب الحنون . . والأخ المخلص . . والصديق العزيز . . ترك لنا اكبر تركة واغناها (٤٥٠ فيلما) ستظل معها ذاكرة مجددة وباقية على الشاشة . . وفى كل القلوب التى احبته وهو حى . . والتى تبكيه بعد رحيله . .

وداعا أيها الانسان الكبير . . يا من كانت حياتك مأساة أكبر من المآسى التى قدمتها على الشاشة . . ياصاحب قصة الكفاح المريرة الطويلة . . قصة كفاح باشكاتب فى أستوديو مصر استطاع بقوة الارادة والعزيمة . . وبالموهبة . . وبالعمل المتواصل . . أن يصبح نجم النجوم . . واشهر فتى من فتيان الشاشة . . وسيظل هكذا دائما حتى بعد غيابه عنا .

ايريس نظمى



● العائلة الوفية . عماد حمدى يتوسط أسرته . ابنة نادر وزوجة الابن . والزوجة الأولى فتحية وشقيقه التوأم

كسبت كثيرا .. وخسرت أكثر .. لم أترك مليما فى بنك .. رصيدى الوحيد ٤٥٠ فيلما من تلك الحياة التى عشتها بلا ندم .. وأرويها بلا خجل .. والتى أغادرها دون أن أحمل فى قلبى ضغينة لأى إنسان .. حتى الذين أساءوا إلى .. والذين تخلوا عنى فى أيامى الأخيرة .. أحاول أن أجد لهم عذرا .. وأقول سامحهم الله جميعا ..

عماد حمدى

الباشكاتب الذى أصبح الفتى الأول

● البداية كانت في الجنوب . . في سوهاج . . تلك المدينة التى استقر بها ابى عبد الحميد حمدى - بحكم عمله كمهندس في سكة حديد الوجه القبلى . .

حركة غير عادية داخل بيتنا . . فأمي جاءها المخاض . . توشك ان تضع مولودها الأول . . ولا بد ان سعادة أبى في تلك اللحظات بالذات قد فاقت كل الحدود . . فبعد دقائق قليلة سيصبح أبى أبا . . ستنجب له امى طفلا او طفلة . . ان فرحة استقبال المولود الأول لا مثيل لها . . لكن ابى لم يكن يتوقع ابدا مثل هذه المفاجاة المدهشة التى اهتزت لها المشاعر والقلوب . . فلم اكن وحدى الذى خرجت من بطن امى في تلك الليلة . . بل كان معى توامى . . اخى . . هكذا شاءت الاقدار ان نخرج معا إلى هذه الحياة في نفس الليلة . . بل في نفس الساعه .

وبعد هذا هدات الزغاريد . . وبعد ان استعادت امى وعيها . . تقدم أبى نحوها . . وفي عينيه بريق الفرح . . وسالها :

— ماذا نسميهما ؟

قالت امى - نسمى الاول عبد الرحمن .

وعاد يسالها - والثانى ؟

وصمتت امى قليلا وهى تحاول ان تبحث عن اسم مناسب . . لكن ابى قال بحسم :

— سنسميه محمد عماد الدين .

ولم تعترض امى . . بل غطت وجهها الطيب ابتسامه راضيه عريضه . . فقد ادركت على الفور ان ابى قد اختار لى نفس اسم زوج اختها (محمد عماد الدين اسكندر) ذلك السلطان الهندى . . اقصد الذى كان سلطانا لهذه الجزر (ملاديف) الواقعة في الجنوب الغربى للساحل الهندى . . ويقال ان سكان هذه

الجزر هم اصلا من نسل الاسكندر الاكبر ، وقد اعتنقوا الاسلام مع دخول الدين الاسلامى إلى الهند . . لكن الانجليز قرروا عزل زوج خالتى محمد عماد الدين اسكندر وابعدوه عن الجزر كلها . . نفوه عن العالم الذى احبه . . فجاء ليستقر به المقام فى مصر . . ويقولون انه كان شخصا نادرا فى اخلاقه وادبه وتواضعه . .

ولعل هذا هو السبب الذى جعل ابى مصرا على ان يسمينى باسمه . . من يدرى فقد آخذ عنه قدرا من اخلاقه الحميدة وأدبه وتواضعه . . هذا على الاقل ما كان يتمناه ابى فى تلك اللحظات . . وهكذا اصبحت احمل اسم السلطان الهندي . . زوج خالتى الذى ارغمه الانجليز على ترك الجزر التى كان محاطا فيها بكل الاجلال والاحترام .

ولم تكد تمضى ايام قليلة بعد مولدى انا واخى عبد الرحمن حتى صدر قرار بنقل ابى من سوهاج الى القاهرة . . وفى شارع (على بك النجار) فى حى شبرا اقمنا داخل فيلا تحيطها حديقة كبيرة كانوا يسمونها (قصور الشوام) . . والحقنا أبى بمدرسه حضانه اسمها (مدرسه مدام شكور) . . وكعاده معظم الآباء والامهات الذين يخشون على اولادهم من الحسد ـ البسونا ملابس البنات وأطالوا شعرنا خوفا من الأعين الحاسده . . حاولت امى اخفاء حقيقتنا داخل ملابس البنات ، لدرجه إن معظم الجيران اقتنعوا فعلا باننا بنتان ولسنا ولدين . . ان معظم الآباء يتمنون ان تنجب لهم زوجاتهم ولدا واحدا . . لكن امى انجبت ولدين فى ليلة واحده . . توامين . . وكان التمييز بينى وبين أخى عبد الرحمن مسألة صعبة شاقة للغاية . . فملامحنا واحدة ومتشابهة للغاية . . نسختان من صورة واحدة . . الفرق الوحيد بينى وبينه أنه كان اسمن منى قليلا .

واهتم ابى وأمى بضرورة تعليمنا اللغات الأجنبية . . امى ارادت ان تعلمنا اللغه الفرنسيه التى تجيدها تماما بحكم ان امها كانت فرنسيه اصلا . . ولأنها أيضا كانت خريجه مدارس (الميردى دييه) . اما ابى فكان يرغب فى تعليمنا اللغه الانجليزيه التى يجيدها بحكم دراسته فى (السنترال بارى) .

وهكذا بدأنا نتعلم الانجليزيه التى اخذناها عن أبى . أما اللغه الفرنسيه فقد ورثناها عن امى . .

التحقت مع اخى عبد الرحمن بمدرسه عباس الابتدائيه ، وكلما تقدمنا فى دراستنا كان اصرار ابى يزداد مؤكدا ضرورة اتقاننا للغة الانجليزية اتقانا كاملا . وقرر ان يعهد بهذه المهمة إلى مدرس متخصص فى تدريس اللغة الانجليزية . وكان هذا المدرس هو الاستاذ بديع خيرى . . وكان وقتها مدرسا شابا تعجب به الفتيات والسيدات . .

بدليل ان ناظرة مدرسة (السلطان حسين) كانت من أشد المعجبات به .

وبدأنا فى تلقى الدروس على يد أول (مدرس خصوصى) يدخل بيتنا ـ الاستاذ بديع خيرى . . وبفضله تطورنا كثيرا وأصبحنا نجيد القراءة والكتابه باللغه الانجليزيه .

وبعد ان حصلنا على الشهادة الابتدائية انتقلنا إلى شارع آخر اسمه (شارع قطه) . وإلى بيت آخر كانوا يسمونه (بيت الكونت شديد) . وكانت أهم مزاياه غرفه الواسعة الكبيرة ، وموقعه الفريد الذى يجعله يطل على اكثر من شارع . وفى هذا البيت . . وفى شارع قطة بالذات عشت مرحلة الصبا بكل ذكرياتها وأيامها الحلوة الرائعة .

انها اجمل سنوات عمرى . سنوات البراءة . . والنقاء . . والاحلام . . سنوات الانطلاق والاستمتاع بمباهج الحياة . اسعد اوقاتى هى تلك التى كنت اقضيها متعلقا بباب الترام . . لم يكن تراما بالمعنى المفهوم ـ بل كان عبارة عن اتوبيس اخضر اللون يسمونه (الشانت كروفت) . . بسته مليمات فقط اركبه واستمتع بجولة طويلة حتى نهاية الخط ، اشاهد خلالها العديد من المناظر الجذابة المفرحة . . بعد مدرسه شبرا كانت تنتشر الحدائق وتمتد الحقول الخضراء بلا نهاية . . وايضا كان يوجد التيرو المخصص لصيد الحمام وسط المزارع ، وكان يملكه شخص أرمنى الجنسية يدعى جارابديان .

ورغم اننا لم نكن اثرياء مثل الباشوات والبهوات . . الا اننى كنت أشعر بفخر طفولى عندما اقول امام الاطفال الآخرين اننى ابن عبد الحميد (بك) حمدى . ولم اكن اكذب عليهم ، فقد كان ابى قد حصل بالفعل على لقب (بك) ليس عن طريق الرشاوى والعلاقات الخاصة ، لكن عن أحقية وجدارة واستحقاق . . كان من حق الذى يصل إلى الدرجة الثانية ان يحصل على هذه الرتبة بحكم درجته الوظيفية .

وعندما انهينا السنة الدارسيّة الثانية بمدرسة التوفيقية صدر قرار بنقل والدى مهندسا بسكة حديد اسيوط . وكان لابد ان نذهب معه إلى هناك ـ قريبا من المكان الذى رأينا فيه نور الحياة لأول مرة فى سوهاج . . وقضينا فى اسيوط عاما كاملا . . ثم عدنا الى القاهرة . . إلى مدرسة التوفيقية فى شبرا . . مرة اخرى .

● ● ●

لكن المحيطين بنا كانوا يعتبروننى انا واخى عبد الرحمن ظاهرة غريبة تستحق الاهتمام . . او على الاقل تستحق (الفرجة) . . فنحن لا ننفصل ابدا . . هو دائما معى فى نفس العام الدراسى . . وانا دائما بجانبه داخل الفصل . . اذا نجحنا ننجح معا . واذا رسبنا نرسب معا . . واذا جاء ترتيبه

(الثانى) مثلا - يكون ترتيبى الثانى مكرر أو الثالث على اكثر تقدير . واذا جاء ترتيبه الثالث مثلا يكون ترتيبى الثالث مكرر او الرابع على اكثر تقدير . واذا كان هو السابع فى ترتيب الناجحين اكون انا السابع مكرر دائما . .

دائما معا خطوة بخطوة . . توأمان فى كل شىء - حتى فى حبنا الشديد للألعاب الرياضية . . فعندما أصبحت انا (كابتن) المدرسة فى نشاط (القسم المخصوص) الرياضى - يصبح هو (كابتن) فريق كرة القدم . .

وربما كان الفرق الوحيد بينى وبينه فى تلك الفترة هو حماستى الزائدة لفن التمثيل . ففى مدرسة التوفيقية الثانوية بدأت تظهر هواياتى الفنية . . وسارعت بالانضمام إلى فريق التمثيل بالمدرسة - وكان الاستاذ عبد الوارث عسر هو الذى يعلمنا الاداء التمثيلى - وبفضله تعمق فى وجدانى حب الفن . واذكر اننا قدمنا ايامها احدى مسرحيات شكسبير التى كانت مقررة على طلبة السنة النهائية (البكالوريا) - وقد أديت فيها دورا من ادوارها الهامة وقدمنا العرض على مسرح الازبكية . .

لكن الغريب انى لم اكن أحلم فى ذلك الوقت بأن أصبح فنانا .

ليتنى اصبح طبيبا !

كانت امنيتى الكبرى ان التحق بكليه الطب بمجرد حصولى على شهادة (البكالوريا) . اقصد الالتحاق بمدرسة الطب العليا . . فقد كان ذلك هو اسمها فى ذلك الحين . . فمهنة الطب مقدسة . . عمل انسانى ليس له مثيل . . شىء رائع ان يشارك الانسان فى تخفيف آلام الآخرين من حوله . . وان يجفف دموعهم . . ويضع حدا لاحزانهم . . ويعيد الابتسامة الغائبة الى وجوههم العابسة .

اننى انتظر ذلك اليوم الذى سأرتدى فيه المعطف الأبيض ، واضعا فوق اذنى السماعة التى سأسمع من خلالها نبضات الألم فى قلوب وأجساد المرضى المتعبين . ما اروع تلك اللحظة التى استجيب فيها لنداء ملهوف فى منتصف الليل . اريد ان اجرب شعور الراحة العميق الذى يشعر به الطبيب عندما ينقذ حياة انسان ويبعد عنه الخطر القاتل . ليس هناك ما هو أنبل من هذه المهنة الانسانية . . مهنة الطب .

وأخى عبد الرحمن كانت تراوده ايضا نفس الامنيه . . الالتحاق بمدرسة الطب العليا . لكن ليس كل مايتمناه المرء يتحقق بسهوله .

وذات ليله قررنا ان نفاتح أبى فى هذا الامر . . وبمجرد ان قلنا له :

- نريد ان نلتحق بمدرسة الطب العليا .

حتى رد صائحا :

ومن اين احصل على المال الذى يكفي الانفاق على دراستكم في مدرسة الطب العليا ؟ هل نسيتم ان لكم ستة إخوة واخوات ؟

اليس من حقهم ايضا ان يتعلموا ويكملوا دراستهم مثلكم ؟ وهل نسيتم اننى اصبحت الآن على المعاش ؟ وان مواردنا المالية اصبحت محدودة للغاية ؟ وهل تجهلون ان مصاريف مدرسة الطب العليا بالذات باهظة جدا ، وان كتبها غالية الثمن ؟ لماذا لا تبحثون عن مدرسة عليا اخرى ؟

وقلنا في صوت واحد :

— نريد ان نلتحق بمدرسة الطيران

— لكن ابى رد قائلا :

— مش عايز تخريف . .

ثم اعلن قراره النهائى :

— سالحقكم بأرخص المدارس العليا في مصر . . ان مدرسة التجارة العليا لا تزيد مصاريفها عن ١٢ جنيها في العام . وليس امامكم الآن غيرها .

ولم نعترض . . بل لم ننطق بكلمة واحدة . . فنحن لم نتعود هذا النوع من المعارضة داخل بيتنا . . كلمات أبي اوامر يجب ان تطاع في الحال . . اننا حتى لا نجرؤ على الجلوس امامه . نظل واقفين لفترات طويلة حتى يأذن لنا بالجلوس . بل وكنا نجرى كالفئران المذعورة كلما سمعنا صوت مفتاحه وهو يتحرك في الباب معلنا عن وصوله .

كانت شخصية ابى قوية جدا إلى الحد الذى يجعلنا غير قادرين حتى على مناقشته . هكذا كان يتصرف جيلنا محتفظا في اعماقه للآباء والامهات بكل هذا الاحترام الذى يقترب من درجة التقديس . . ولم يكن امامى انا واخى سوى الرضوخ لهذا الأمر الواقع . وبدأنا نستعد للالتحاق بمدرسة التجارة العليا . وخصص ابى لكل واحد منا مصروفا شهريا قدرة نصف ريال . فقد كان من المقتنعين بتلك الفكرة التى تقول ان (كثرة المال تفسد العيال) . وبالطبع لم يكن هذا المصروف (الرمزى) يكفينا . . وكنت أضطر في أغلب الأحيان للذهاب إلى مدرسة التجارة العليا سيرا على الاقدام .

ولكم ان تتصوروا المسافة التى كان محتما علينا ان نقطعها كل يوم ذهابا وايابا من حى شبرا إلى شارع الشيخ ريحان الذى توجد به مدرسة التجارة العليا . وكلما تعبت اقدامنا تذكرنا تلك الحكمة التى تقول (اطلبوا العلم ولو في الصين) . . وحمدنا الله كثيرا على ان مدرسة التجارة العليا في شارع الشيخ

ريحان وليست فى الصين . .
وكان لا بد ان نواصل رحلة كل يوم . . رحلة البحث عن العلم . . مهما كانت شاقة ومرهقة .
لكن ماذا يفعل نصف الريال ؟ اذا كانت حلاقة شعرى مرة واحدة فى الشهر تكلفنى شلنا كاملا ؟ اننا لسنا مسرفين بطبيعتنا ، ونطبق تطبيقا دقيقا المثل القائل (على قد لحافك . . مد رجليك) . لكن ماذا يفعل نصف الريال طوال شهر كامل ؟ وكانت امى هى الملجأ الوحيد . . انقذتنا كثيرا من الافلاس . . فقد خصصت لنا نوعا من (المصروفات السرية) التى لا يعلم ابى عنها شيئا . .
وكان هدفها انسانيا رائعا . . دعم موقفنا المالى السيىء والمنهار دائما . . ولولا هذه (المعونات) التى ظلت امى تقدمها لنا من حين لآخر ـ لولاها لحدثت لنا بالتاكيد كارثة . ما اروع حنان الام فى مثل هذه الحالات .
ووضعت مع اخى خطة مشتركة من أجل دخول نادى التجارة العليا الذى كان اشهر نوادى مصر فى ذلك الوقت . ونجحنا اخيرا فى الوصول اليه ، لكى نتناول داخله طعام الغذاء او العشاء . وأصبحت وجبتنا الدائمة المفضلة هى ذلك (الطاجن) المغذى الذى لا يكلفنا سوى شلن واحد فقط . وبعد ان نشبع نذهب الى شارع فؤاد (٢٦ يوليو الآن) لكى نركب الترام بستة مليمات . . ثم نعود إلى شارع قطة . . فى شبرا .

عندما ضربنى أبى . .

وفى مدرسة التجارة العليا ايضا ـ ظللت إنا وأخى عبد الرحمن محورا لحديث الناس ودهشتهم . . فنحن مازلنا ملتزمين بالقاعدة القديمة ـ ان ننجح ونرسب معا . وهذا بالطبع يحدث دون اى اتفاق مسبق . . لكنها الصدفة العجيبة التى لا تتكرر كثيرا .
كانت هناك مجموعتان ـ الاولى اسمها المجموعة الاقتصادية وتضم ثلاثة علوم . . اما المجموعة الاخرى فهى مجموعة المكتبات وتضم ثلاثة علوم اخرى . . والذى يرسب فى هاتين المجموعتين من المستحيل ان يحصل على مجموع . .
لكن الذى حدث اننا رسبنا معا فى المجموعتين واكملنا ايضا امتحان الملحق . . ثم نجحنا معا أيضا . . وكان ذلك شيئا غريبا ومثيرا للدهشة فى رأى الذين يعرفوننا .
ان هذا التشابة الشديد والدقيق فى ملامحنا اوقعنا فى مشاكل ومتاعب لا تحصى . فاذا حدث مثلا ان اخطأ اخى عبد الرحمن واراد ابى ان يعاقبه . . وتصادف ظهورى فى تلك اللحظة امام أبى . . فانه يضربنى على الفور بدلا منه . . وانال العقاب الذى

كان مفروضا أن يناله أخى . .

فحتى أبى كان احيان كثيرة غير قادر على التميز بيننا بسهولة . . وما أكثر المفارقات المضحكة التى كانت تحدث نتيجة لذلك التشابة الشديد بينى وبين اخى عبد الرحمن .

حدث مثلا فى احدى المرات ان تقدمنا لامتحان شفوى فى اللغة الانجليزية ، وكان المدرس الذى يشرف على الامتحان . . كان انجليزيا اشتهر بقسوتة وغلظته . . ويكفى أن أقول أن مجرد ذكر اسمه كان يملأ قلوبنا رعبا . . فكيف ننسى أنه كان سببا فى حرمان كثير من الطلاب من الحصول على البكالوريوس بسبب شدته وقسوته .

المهم ان اخى عبد الرحمن دخل قبلى لكى يؤدى الامتحان . . وليسبقنى فى مواجهة ذلك المدرس الانجليزى الشرس . . وبعد ان انتهى من اداء الامتحان خرج . . ثم دخلت انا بعده بحوالى ربع ساعة . . وانزعجت عندما وجدت المدرس الانجليزى القاسى القلب يركز نظراته على وجهى وهو يتفحصنى باهتمام . . ثم بادرنى قائلا :

— أين رأيتك قبل الآن ؟

فقلت بأدب :

— لا اظن انى قابلت حضرتك من قبل

فعاد يسألنى :

— الم امتحنك فى مرة سابقة ؟

قلت باصرار :

— لا اظن ذلك .

ووجدت الشك والحيرة فى عينيه الزرقاوين . . واعطانى الكتاب قائلا بغيظ واضح :

— اقرأ . .

وبدأت اقرأ من الكتاب . . لكنى اضطررت للتوقف عندما صاح المدرس الانجليزى فجاة

ستوب !

وسرى الخوف فى بدنى كله . . وقلت لنفسى :

اللهم اجعل هذا اليوم يمر على خير . لقد سمعت كثيرا من الحكايات المرعبة عن هذا المدرس بالذات . . فهل سأكون انا أحد ضحاياه ؟

وتطلع المدرس صاحب الوجة الاحمر نحوى قائلا بغضب زائد :

— لا . . لقد امتحنتك من قبل . . وعدت الآن لكى تؤدى الامتحان بدلا من شنخص آخر .

وحاولت ان اشرح له الامر . . فعاد يصيح :

— تريد ان تخدعني . . اليس كذلك ؟

وقلت لنفسى . . لقد وقع المحظور . . ولن افلت من عقاب هذا المدرس القاسي القلب . . وقلت فى محاولة مستميتة للدفاع عن النفس .

— ان لى أخا شقيقا يشبهنى تماما .

ويبدو انه تصورنى اسخر منه أو اضحك عليه . . فقال ساخرا :

توأم ؟

انه لا يصدقنى . . اين اخى عبد الرحمن ؟ ستكون كارثة اذا لم اعثر عليه . اذا كان قد خرج من لجنة الامتحان واتجه فورا الى البيت . وجريت كالمجنون ابحث عنه . . يجب ان أجده . . انه منقذى الوحيد . . وشاهدى الأمين . . اذا عدت بدونه فساصبح بالتأكيد أحدث ضحية لهذا المدرس الانجليزى المرعب الذى يعمل له جميع الطلبة الف حساب .

وكدت اقفز فرحا عندما وجدت أخى عبد الرحمن مايزال واقفا بالقرب من الغرفة التى كان يجرى فيها الامتحان . وجذبته بسرعة وادخلته معي وهو لا يفهم ما حدث . . بل وجد نفسه يقف مرة اخرى امام المدرس الانجليزى الذى نظر الينا مشدوها . .

وقلت وانا التقط انفاسى :

— هذا هو شقيقي التوأم .

فقال وهو يبتلع غيظه :

— او كى .

وحمدت الله ان هذا الموقف قد مر دون ان يصدر قرار بفصلى او حرمانى من اكمال الامتحان .

وحدث مرة اخرى ان طلبوا منى صورة لوضعها داخل (الكارنيه) الذي يثبت انى طالب . . ولم أجد صورة خاصة بى فأخذت صورة أخى . . أنها لا تختلف أبدا عن صورتى . . فالتشابه بيننا شديد . . لدرجة ان احدا لا يفرق كثيرا بين صورتى وصورته . . وهذا ما حدث فعلا . .

ومر الموقف بسلام دون ان يفطن احد إلى ان الصورة التى بداخل (الكارنيه) الذى يخصنى ليست صورتي . . بل هى صورة أخي .

البحث عن طـريق

نسيت ان اقول انني واصلت اشباع هواياتي الفنية في مدرسة التجارة العليا من خلال الفرقة المسرحية التي كانت في ذلك الوقت من اقوى فرق الهواة . . ويبدو ان الكلمات الطيبة المشجعة التي كنت اسمعها دائما من الآخرين الذين شاهدوني اثناء ادائي للادوار التمثيلية ـ يبدو أن هذه الكلمات هي التي جعلتني افكر جديا في العمل مع احدى الفرق المسرحية الكبيرة . . ولكن إلى اى الفرق انضم وانا مازلت هاويا ومغمورا ؟

كانت اهم الفرق المسرحية في ذلك الوقت (فرقة رمسيس) و (فرقة جورج ابيض) و (فرقة على الكسار) و (فرقة فاطمة رشدى) و (فرقة منيرة المهدية) . لكن لم اكن اجرؤ اطلاقا على طلب الانضمام إلى احدى هذه الفرق . فمن اكون انا إلى جانب هؤلاء العمالقة ؟

ولم اجد امامى سوى فرقة (انصار التمثيل والسينما) التى كان يشرف عليها الفنانان الكبيران سليمان نجيب وعبد الوارث عسر . . انها النافذة التى سأتنفس وسأستنشق من خلالها عبير الفن المسرحى . فهى اولا تفتح قلبها لهواة التمثيل من امثالى .

اما السبب الثانى الذى شجعنى فهو وجود الاستاذ عبد الوارث عسر الذى كان أول من علمنى الالقاء المسرحى .

لكن اهم حدث في تلك الفترة كان انتهائى انا واخى عبد الرحمن من دراستنا في مدرسة التجارة العليا ، وحصولنا على شهادة البكالوريوس . لقد انتهت مرحلة الدراسة بكل احلامها وذكرياتها السعيدة والمريرة . واصبحنا نقف على ابواب مرحلة جديدة مختلفة تماما . . وكان لا بد ان نبحث عن اجابة لذلك السؤال الذى يواجه كل الذين ينتهون من دراستهم .

ـــ ماذا سنفعل الآن ؟

وقال اخى عبد الرحمن :

ـــ لا أحب العمل الوظيفى .

قلت :

ـــ وانا ايضا .

وبعد تفكير طويل قررنا ان (المشروع التجارى) افضل كثيرا من الوظيفة التقليدية . . فكرة لا باس بها . . ولكن كيف ؟ وأين هو رأس المال ؟ لقد استنفد

ابى كل جهده وطاقته فى تعليمنا ومساعدتنا على اكمال دراستنا العليا . . لقد ادى دوره الابوى العظيم نحونا على خير واكمل وجه . . وليس معقولا ان نطالبه الآن وبعد التخرج بمثل هذه المساعدات المادية التى تفوق امكانياتنا الاسرية .

كنا قد قررنا ان نفتتح (مكتب اعلان) يتولى نشر الاعلانات فى الصحف . . فمثل هذه المكاتب الاعلانية محدودة جدا ، يشرف عليها اساسا بعض اليهود . . انه مجال جديد امامنا . .

ولكن اين هو رأس المال ؟ ومن الذى سيساعدنا ؟ اخيرا وجدنا الحل . . وقلنا فى صوت واحد .

— (طلعت حرب باشا) .

كان بنك مصر قد انشىء فى ذلك الوقت بشركاته المتعددة برعاية وتشجيع طلعت حرب باشا . وكان هناك اتجاه قوى لتشجيع الشبان الذين انهوا دراستهم العليا على العمل فى المشاريع الجديدة المفيدة . . ومساعدتهم على شق طريقهم فى الحياة .

ونحن انهينا دراستنا . . ونريد ان نشق طريقنا فى هذه الحياة . . يدفعنا الأمل . . ويحركنا الطموح . . والرغبة القوية فى اقتحام المجهول ـ والانطلاق نحو المستقبل المشرق . .

وتطلعت نحو أخى عبد الرحمن وقلت بتصميم . .

— غدا . . سأذهب لمقابلة طلعت حرب باشا . .

زفة وداد غيرت مجرى حياتى !

لم أكن أتصور أن لقائى مع طلعت حرب باشا سيتم بمثل هذه السرعة ـ وبكل تلك السهولة . ووجدتنى جالسا أمامه ، بينما هو يرمقنى باهتمام عطوف .

وقلت له :

— يا باشا . . نحن من خريجى مدرسة التجارة العليا . . ونريد أن نفتتح مكتبا للاعلان الصحفى . . لكن المشكلة أن امكانياتنا المالية محدودة . . ولهذا جئت أطلب المساعدة من سعادتك . .

ولم أكد انتهى من كلامى حتى كان طلعت حرب باشا قد أمر بمنحنا كل الاعلانات الخاصة بشركات بنك مصر . . بضعة الوف من الجنيهات ـ كانت رأس المال الذى قررنا أن نبدأ به لمشروعنا الجديد . . فالحقيقة أننا لم نكن نمتلك مليما واحدا عندما قررنا البدء فى تنفيذ هذا المشروع ـ فالحصول على ادوات الرسم وبقية تجهيزات المكتب كانت مشكلة كبيرة تواجهنا . . لاننا لم نكن قادرين ابدًا على شراء هذه الادوات والتجهيزات ، لدرجة اننى فكرت فى الاستعانة بأدوات الرسم الموجودة فى غرفة أبى المغلقة منذ فترة طويلة ـ لقد كان مهندسا فى السكة الحديد . . ولم يعد يستعمل هذه الأدوات بعد أن بلغ سن المعاش . فلماذا لا أستعين بهذه الأدوات التى تزدحم بها غرفة أبى المغلقة ؟ .

ولكننى لم اجرؤ على طلب ذلك مباشرة من أبى . . خجلت ان أعلن له عن رغبتى فى استخدام نفس الأدوات التى كان يستعملها . . وذهبت إلى عمى طالبا مساعدته . .

قلت له :

— انت تعرف يا عمى ان ابى لم يعد يستعمل هذه الأدوات التى نحن فى أشد الحاجة اليها فى مشروعنا الجديد . . لكنى اخجل أن اطلبها منه . .

وساعدنى عمى فى الحصول على أدوات الرسم ـ ليس عن طريق اقناع أبى . . بل

عن طريق كسر باب الغرفة المغلقة ـ دون أن يعلم أبى طبعا بما حدث .

وحملت أدوات الرسم التى كان يستعملها أبي . . وأخذتها إلى المكتب الذى افتتحناه لشركتنا الوليدة فى شارع شريف بالتعاون مع زميلين لنا . وكانت منحة اعلانات شركات بنك مصر التى أمر طلعت حرب باشا بتقديمها لنا ، كانت الدافع القوى الذى جعلنا نخطو الخطوة الأولى الواسعة فى مجال الحياة العملية .

واستطاع مكتب الاعلان الصحفى الجديد فى شارع شريف ان يفرض وجوده بسرعة . . ولكن كان لا بد أن نخطو خطوات أخرى أوسع فى طريق النجاح ، ولذلك قررنا أن نطور نشاطنا بدخول مرحلة تنفيذ اعلانات ولافتات الشوارع بعد نجاحنا فى تنفيذ اعلانات الصحف . وفى هذه اللحظة بالذات فوجئنا باستدعاء عاجل من سعادة طلعت حرب باشا . وذهبت مرة اخرى للقائه وانا أحاول ان أسبق الاحداث واضعا فى ذهنى كل الاحتمالات . . لا أظن أنى سأسمع نبأ سيئا ، فطلعت حرب باشا هو الذى ساعدنا . . ولولاه ماكنا حققنا هذا النجاح . . بل هو أيضا الذى ساعد عشرات الشبان الآخرين الذين أنهوا دراساتهم العليا وأرادوا ان يشقوا طريقهم فى الحياة . . هو الذى فتح امامنا أبواب الأمل . . ويسر لنا امكانيات العمل .

ووجدت نفسى جالسا مرة أخرى أمام طلعت حرب باشا . . وفوجئت به يقول لى :

ــ ما رأيك لو نضم هذه الشركة ـ يقصد شركة الاعلان ـ إلى شركات بنك مصر ؟

وقبل أن استوعب كلماته . . عاد يقول :

ــ وساعينك مديرا لهذه الشركة . .

لكنى اعتذرت بصورة مهذبة . . وانصرفت ولم ادرك وقتها ان قرارى هذا كان متسرعا لم يصدر بغير تفكير عميق . .

فقد استطاع طلعت حرب باشا ان يقنع زميلينا وشريكينا الآخرين اللذين عملا بالفعل فى شركات بنك مصر .

واصبحت أنا وأخى عبد الرحمن داخل مكتب شارع شريف . وكان من الصعب الاستمرار وحدنا . . وكان لا بد أيضا ان نعلن افلاسنا واغلاق مكتبنا بمنتهى الروح الرياضية . وعدنا لنفس السؤال القديم . ما الذى سنفعله الآن ؟

ولم يكن أمامنا سوى البحث عن وظيفتين جديدتين . . وظيفة لى . . ووظيفة له . . وعمل اخى عبد الرحمن فى الجمعية الزراعية الملكية . . أما انا فقد عملت فى مستشفى ابو الريش .

ودخلت مستشفى أبو الريش

فى اللحظة التى دخلت فيها مستشفى أبو الريش للمرة الأولى ، تدافعت الأحلام القديمة داخل عقلى . . تذكرت حلمى القديم الكبير الذى لم انجح فى تحقيقه . . واليوم الذى افصحت فيه عن رغبتى القوية فى الالتحاق بمدرسة الطب العليا . لكن أبى اعترض بحجة أن مصاريفها باهظة ـ واختار لى مدرسة التجارة العليا التى التحقت بها مرغما حتى لا أصبح عقبة فى طريق بقية اخوتى واخواتى الذين يريدون أن يكملوا دراستهم العليا مثلى .

وهاأنذا اليوم اتسلم عملى الجديد فى مستشفى أبو الريش . . أدخل ذلك العالم المحبب إلى نفسى الذى كنت أتمنى ان اقضى فيه كل سنوات العمر القادمة . . ادخله ليس كطبيب . . ولا حتى كتمورجى . . بل كموظف حسابات . . كم اكره هذه الحسابات اللعينة . . وهذا اليوم الذى التحقت فيه بمدرسة التجارة العليا .

لكن كان عزائى الوحيد اننى سأعيش وسط الاطباء . . والمرضى . . والادوية . . وغرف العمليات . . وأصبحت «باشكاتب » مستشفى أبو الريش . . وتوثقت علاقاتى بسرعة مع زميلى سيد على ـ وأيضا مع الاطباء وخاصة الدكتور مصطفى الديوانى الذى كان وقتها طبيبا شابا . . وكنت سعيدا بحب الاطباء لى .

قد تكون هناك بعض المناظر التى يراها البعض مؤذية ومؤلمة خاصة منظر جثث الموتى الممدة داخل (المشرحة) . . ومنظر تسليم الأطفال اللقطاء الذين ليس لهم آباء وأمهات معروفون .

لكنى بالتاكيد كنت استفيد واتعلم واضيف لنفسى خبرات انسانية وعلمية جديدة . . كنت اتابع بشغف زائد تصرفات الاطباء فى المواقف المختلفة التى كان من المفروض ان اعايشها . . لو كنت قد نجحت فى الالتحاق بمدرسة الطب العليا . . فدائما الاحظهم بدقة وهم يفحصون المرضى . . بل وكنت أحرص على ان اكون قريبا منهم حتى داخل غرفة العمليات . انها (فرجة) ممتعة جدا لى . وساعدنى على اقترابى منهم اجادتى الواضحة للغة الانجليزية التى كنت اكتب لهم بها معظم رسائلهم . لكن عالم مستشفى أبو الريش الذى استهوانى لم يبعدنى عن الفن . فعادة ما كنت أذهب لفرقة انصار التمثيل والسينما لكى أشبع هوايتى الفنية القديمة ـ وإلى جانب التمثيل بدأت أعشق الموسيقى مثل اخى عبد الرحمن .

والتحقت بمدرسة (**تيجرمان**) التى كانت يدرس لنا فيها مدرسون قادمون من بولندا . معظم الموسيقيين الكبار درسوا بهذا المعهد . الأستاذ عبد الوهاب نفسه استفاد منه .

وبدأت ادرس بجدية الموسيقى بأصولها العلمية . . وأصبحت اجيد العزف على البيانو . وافهم جيدا النوتة الموسيقية ، بل وقررت أن أدرس الهارمونى . وتماديت فى الاحلام عندما تصورت انى استطيع أن أكون اوركسترا أيضا .

كان الجميع يشجعوننى عندما يسمعون عزفى المتقن لمقطوعات بتهوفن وباخ وموزار . لكن ظروف العمل لم تساعدنى كثيرا بعد ذلك على الاستمرار فى التدريبات الموسيقية . ومن يدرى . . ربما كنت سأصبح موسيقيا ناجحا لو كنت واصلت التقدم فى هذا المجال . وأصبحت اكتفى بالسماع . . ولم يكن يفوتنى اى حفل موسيقى لأى فرقة اجنبية زائرة .

كنت حائرا بين حبين . . حب الموسيقى . . وحب التمثيل . . وكان يشاركنى هواياتى الفنية صديقى صلاح ذهنى (وهو غير الكاتب صلاح ذهنى) - واذكر انى قلت له ذات مرة :

ما رايك يا صلاح لو نعمل معا على ترجمة بعض المسرحيات العالمية ثم نقدمها بعد ذلك للفرق المسرحية الكبيرة .

فقال :

— موافق . . ولكن لابد من البحث عن النصوص الجيدة .

قلت :

— لقد عثرت على نص مسرحي رائع جدا اسمه (الغوغاء) للكاتب المسرحى جون جالزورزى . . لقد اعجبنى لدرجة انى اتمنى ان اترجمه . . انه يضم شخصية مدهشة جدا تصلح لجورج بك ابيض .

وبدأنا على الفور فى ترجمة مسرحية (الغوغاء) . لكن قرارا صدر بنقل صديقى صلاح ذهنى للعمل فى الفيوم . ورايت الأسف على وجهه وهو يقول :

— خسارة . . لن نستطيع ان نكمل ترجمة المسرحية .

قلت معترضا :

— لا . . بل لا بد ان نكملها .

وتساءل :

— كيف ؟

قلت :

— اذهب لك مرة كل اسبوع لزيارتك فى الفيوم . . ثم تحضر لى انت مرة اخرى فى القاهرة . . وبهذه الطريقة يمكن ان ننجز العمل وننتهى من الترجمة فى الوقت المحدد .

وبدأنا ننفذ الاتفاق . . أذهب إليه مرة فى الفيوم . . ثم يحضر هو مرة إلى القاهرة . . لم يكن الطريق الصحرواى قد مهد وشق بعد . فكنت اذهب إليه عن طريق البدرشين .

الزفة التى غيرت اتجاهى !

وما زلت أذكر ذلك اليوم الذى كنت أركب فيه السيارة المتجهة إلى البدرشين ـ حين شاهدت من نافذة السيارة المسرعة اعلاما مرفوعة ذات الوان زاهية ـ ومجموعة كبيرة من الناس يتحركون وسط الموسيقى ودقات الطبول . وسألت الكمسارى عن سر هذه (الزفة) العجيبة . . وتصورت أن هؤلاء الناس ليسوا سوى جماعة من الجماعات الصوفية التى تقدم مثل هذه العروض ذات الطابع الدينى . لكن الكمسارى قال لى : (لا يابيه . . دا استوديو مصر . . بيعملوا حاجة . . مشاهد يعنى من فيلم وداد) .

وانطلقت السيارة متجهة نحو الفيوم . . لكن عقلى ظل مشدودا إلى إستوديو مصر . . وبمجرد ان عدت إلى القاهرة حتى بدأت اسأل كل من له علاقة بالفن عن إستوديو مصر . . الذى انشىء بفضل جهود طلعت حرب باشا . وعدت أسأل عن العاملين باستوديو مصر . . وأثار إنتباهى أسم الأستاذ محمد رجائى ، فهو زميلى وتخرج معى فى مدرسة التجارة العليا . وقررت ان أذهب لمقابلته . . واستقبلنى كما توقعت بحفاوة الزملاء الأعزاء . .

وسالنى :

— أين تعمل الآن ؟

قلت :

— اننى أعمل حاليا (باشكاتب) فى مستشفى ابو الريش . . لكن الفن يشغلنى جدا يا محمد . . اننى أمثل فى فرقة انصار التمثيل كمحاولة لاشباع هوايتى الفنية القديمة التى تعرفها . لكنى لم أحترف التمثيل حتى الآن .

وعدت اسأله :

— مفيش عندكم وظيفة خالية يا محمد ؟

قال :

— عندنا وظيفة رئيس حسابات .

قلت :

— موافق .

واندفعت فى طريقى نحو مستشفى أبو الريش . . وطرقت باب مدير المستشفى الدكتور ابراهيم باشا شوقى (أبو طب الأطفال فى مصر) والذى يعتبر هو والدكتور خليل عبد الخالق اشهر طبيبين فى مجال طب الأطفال .

وقلت لمدير المستشفى الذى كان يشغل فى نفس الوقت منصب وكيل وزارة الصحة :

— انا عايز استقيل يا افندم .

تتطلع إلى مندهشا :

— ليه ؟ هل حد ضايقك ؟

قلت :

— لا يا افندم .

قال :

— اذن ما سبب الاستقالة ؟

قلت :

— ساعمل فى السينما .

قال :

— سينما اية يا إبنى . . صدقنى ستندم كثيرا بعد هذه الخطوة غير المحسوبة .

لكنه عندما لاحظ اصرارى الشديد على الاستقالة ورغبتى القوية فى الارتباط بالعمل السينمائى قال لى :

— ربنا يوفقك يا إبنى .

وكان لا بد ان تاتى تلك اللحظة المؤثرة التى اودع فيها الاطباء والممرضين . . والممرضات . . وعنابر المرضى . . وغرفة العمليات . . وكل شبر فى مستشفى أبو الريش . . اودع هذا العالم الذى احببته . . أودع ثلاث سنوات قضيتها داخل هذا المستشفى الذى رأيت فيه الكثير . . وتعلمت منه اكثر .

وعملت رئيسا للحسابات فى إستوديو مصر الذى كان يلتقى فيه كل فنانى مصر المعروفين . لم يكن هناك فى ذلك الوقت قطاع خاص سينمائى بالمعنى الكامل . فعدد قليل من الفنانين كانوا يمارسون الانتاج السينمائى مثل بهيجة حافظ ـ وبدر لاما ـ أما الباقون فكانوا موظفين . كل مهندسى الصوت والديكور وايضا المخرجون ابتداء من أحمد بدرخان كانوا موظفين فى إستوديو مصر .

والطريف أن علاقتى بهم لم تبدأ كعلاقة فنية . . بل تعرفت عليهم من خلال الارقام

والحسابات وكشوف المرتبات الشهرية إلتى كان يجب ان اوقع عليها بحكم عملى كرئيس للحسابات . وكانت المرتبات تصرف فقط للفنيين وليس للممثلين .

لكن علاقاتى توثقت أكثر مع الفنانين عندما صدر قرار بنقلى من وظيفة رئيس الحسابات إلى وظيفة اخرى جديدة (مدير إنتاج) - بمساعدة وجهود الأستاذ سعد نديم ، وشغل مكانى فى وظيفة رئيس الحسابات الأستاذ موسى حقى .

ودخلت التمثيل . . من باب الدعاية

وسعدت جدا بهذه الخطوة التى جعلتنى اتعامل مباشرة مع الفنانين والفنانات . . وقربتنى أكثر من فن التمثيل . . وأيقظت فى داخلى الفنان الصغير الذى كاد يضيع وسط الارقام والحسابات وكشوف المرتبات . وعاصرت إنتاج افلام كبيرة وهامة للفنان الكبير نجيب الريحانى . . وشاهدت من خلف الكاميرا كل ما يحدث أمامها . . وكل تفاصيل العمل السينمائى داخل البلاتوهات . وكان ذلك كافيا لارضائى . وإن كنت اسمع باستمرار صوتا قادما من أعماقى ، صوت الممثل الذى بداخلى وهو ينادينى - أريد أن أمثل . . أريد أن أقف أمام الكاميرا . لكن كيف ؟

أن عملى كمدير إنتاج جعلنى أكثر حساسية فى التعامل مع الآخرين وخاصة مع المخرجين . هل أقول لهم أريد أن أمثل . . لا . . لا . . يجب أن أكبح جماح هذه الرغبة القوية فى الوقوف أمام الكاميرا حتى لاتفسر على انها استغلال لطبيعة عملى . . وهكذا كنت أحاول تأجيل القرار .

وفى هذه الفترة تعرفت على عدد كبير من الفنانين والفنيين - نيازى مصطفى الذى كان يعمل مونتيرا . . وصلاح أبو سيف وكمال الشيخ اللذين كانا يعملان أيضا كمونتيرين . أما حسن الامام فكان يعمل (عامل كلاكيت) . . وأذكر إنه كان يتقاضى اجرا يوميا قدره (١٧ قرشا) . . ليس عيبا أن يبدأ الأنسان صغيرا . . فالمهم انه كبر بعد ذلك وأصبح من أشهر المخرجين وأنجحهم . . وهذه هى الارادة الحقيقية التى تستحق الاعجاب .

واذكر أن وزارة الصحة طلبت فى ذلك الحين تنفيذ بعض الافلام التسجيلية التعليمية ذات الطابع الارشادى عن أخطار البلهارسيا والانكلستوما بهدف عرضها على الفلاحين فى القرى والارياف من خلال قوافل وزارة الصحة التى تذهب إلى الفلاحين لكى تنشر بينهم الوعى الصحى . ولم تكن وزارة الصحة هى الجهة الوحيدة التى ننفذ لها هذا النوع من الافلام الدعائية - بل كانت هناك أيضا اعلانات (الاسبرين) واعلانات (الشيخ الشريب) .

المهم أنه تم الاتفاق بيننا وبين وزارة الصحة على تنفيذ هذه الافلام ذات الطابع الارشادى التى تحذر المواطنين من عواقب الاصابة بالبلهارسيا والانكلستوما وتشرح لهم طرق الوقاية - وتم الاتفاق على ان يتولى مدير القسم الطبى الأستاذ رمضان خليفة مهمة كتابة سيناريوهات هذه الافلام وعلى ان اقوم أنا بمهمة مدير الانتاج لهذه الاعلانات السينمائية .

وكان الأستاذ جمال مدكور من بين المخرجين الذين يقدمون هذا النوع من الأفلام التعليمية . وبالطبع كان من أهداف كمدير لانتاج هذه الافلام ان ننفذها بأقل قدر من التكاليف المادية . .

ومن أجل التوفير فى ميزانية الانتاج فكرت ان أشارك بالتمثيل فى هذه الافلام بالمجان . . وبدون أى مقابل . . وبهدف واحد فقط هو التوفير فى ميزانية الانتاج .

وهكذا كان أول ظهور لى على الشاشة فى هذه الأفلام التى تتحدث عن أخطار البلهارسيا والانكلستوما . . وبدون أى أجر . . وكنت راضيا عن هذا النشاط **الفنى . . لأنى أولا أساهم فى تقليل نفقات الانتاج . . ولأنى ثانيا اشبع هوايتى** التمثيلية فى هذه الأفلام التى يراها جمهور الأرياف . .

كان ابرز وانجح الممثلين الشبان فى ذلك الوقت حسين صدقى الذى حقق نجاحا كبيرا فى فيلم (العزيمة) . . وأيضا كان من الفنانين المعروفين بدر لاما ومحسن سرحان . . فاين اذهب أنا وسط هؤلاء الفطاحل ؟

واكتفيت بنشاطى فى افلام وزارة الصحة التعليمية ، وبعملى الأساسى كمدير للانتاج . وكدت أقتنع تماما بأن احدًا من المخرجين لن يفكر اطلاقا فى ترشيحى لتمثيل دور كبير فى فيلم روائى لسببين - أولا - لأن ترشيح مدير الانتاج سيسبب لهم كثيرا من الحرج والحساسيات .

وثانيا - لأنى كنت ما ازال مغمورا إلى جانب الممثلين المعرفين حسين صدقى وبدر لاما ومحسن سرحان . . وانور وجدى الذى كان قد بدأ فى الظهور والانتشار . وهناك سبب ثالث أيضا هو أنى لم أكن اجرؤ أطلاقا على مفاتحة أحد المخرجين فى أمر ترشيحى لأحد الأدوار السينمائية - حتى لو بقيت هكذا سنوات طويلة بدون تمثيل . . رغم أن ذلك كان يؤلمنى جدا من الناحية النفسية . . لكن لا بد من الصبر . . فهو دائما مفتاح الفرج .

أول فرصة بطولة

.وصدر قرار بنقلي إلى وظيفة آخرى جديدة (مدير التوزيع) وهكذا أصبح رئيس الحسابات مديرا للانتاج . . ثم مديرا للتوزيع .

السنوات تمر . . وأنا أعيش خلف الكاميرا مشغولا بالحسابات والانتاج والتوزيع - ومحروما من التمثيل أمام الكاميرا . واستغرقني عملي الجديد كمدير للتوزيع .

كان إستوديو مصر في ذلك الوقت هو أكبر موزع . . لكن (نحاس فيلم) و (بهنا فيلم) كانا من المنافسين لنا . . لكننا ظللنا في المقدمة رغم هذه المنافسة . . فعندنا الاستديو الخاص بالانتاج السينمائي - ودار السينما المخصصة لعرض أفلامنا (سنيما إستوديو مصر) التي أصبحت انا مديرها - بالاضافة إلى اشراف على سنيما الازبكية الصيفي .

ومضت اربع سنوات آخرى إلى ان كان ذلك اليوم الذي لا انساه - ذهبت كالعادة ومثل كل صباح إلى مكتب ادارة التوزيع الذي كان قائما في شارع توفيق بجوار مقهى أم كلثوم .

وبعد انتهاء العمل فضلت أن أمر على صديقي قاسم وجدي أول من ابتدع مهنة (الريجبسير) في مصر . . في نفس المبنى كان يوجد إستوديو محمد الطوخي للتسجيلات . . كان من عادتي أن أذهب بين حين وآخر لزيارة الصديق قاسم وجدي لبضع دقائق أتناول خلالها فنجانا من القهوة ونتحدث عادة عن الفن والفانين .

وفي هذه المرة وجدت عنده عددا من الضيوف . . ولذلك فقد فضلت الانصراف بسرعة . . واذكر انه عرفني على أحد الجالسين قائلا :

— الأستاذ كامل التلمساني .

قلت :

— اهلا وسهلا .

وصافحته وانصرفت . . لم أكن أعرفه . . ولم يكن يعرفني . . فعملي الجديد في ادارة التوزيع ابعدني عن مبنى إستوديو مصر الذي لم أعد أذهب اليه سوى مرة أو مرتين في الشهر .

وكدت أن أنسى ذلك اللقاء . **لكن التليفون دق في صباح اليوم التالي داخل مكتبي وسمعت صوتا يقول :**

— انا كامل التلمساني .

قلت - أي خدمة ؟

قال ـ انا مخرج . . واستعد حاليا لاخراج فيلم (السوق السوداء) . .
وقد رشحتك لدور البطولة . . هل عندك مانع ؟ تساءلت بدهشة ـ عندى مانع ؟ طبعا لأ . . ماعنديش أى مانع .
قال ـ طيب . . تعال . . انا فى انتظارك .
وقبل ان اذهب اليه اتجهت نحو مكتب الصديق قاسم وجدى لكى احكى له ما حدث . . لكنى وجدت عنده كل التفاصيل التى كان يجب أن اعرفها . . كان كامل التلمسانى فى الأصل فنانا تشكيليا قبل ان يتجة إلى السينما . . عمل فترة كمساعد مخرج . . لكن (المسيوفينو) اقتنع به جدا وقرر ان يساعده فى تجربة الاخراج الأولى .
وبدأ كامل التلمسانى يبحث عن أبطال فيلمه الاول (السوق السوداء) ورفض ترشيح معظم النجوم المعروفين .
فهو يريد وجها مصريا مائة فى المائة . لا يريد بطلا وسيما ازرق العينين . . بل يريد الملامح المصرية الصميمة . . وحدث بالصدفة ان ذهبت لزيارة قاسم وجدى اثناء وجوده ، وبعد ان خرجت تساءل كامل التلمسانى :
— مين الأفندى ده ؟
وقال قاسم وجدى :
— انه زميلك ؟
زميلى .
— زميلك فى إستويدو مصر . . ويعمل فى التوزيع .
— اننى لم اره من قبل .
ويبدو ان كامل التلمسانى قد اقتنع بأنى الوجه المصرى الذى يبحث عنه . . اننى لست جميلا أو وسيما . . لكننى مصرى الملامح مثل الغالبية العظمى من الناس .
وذهبت إلى المخرج . . وتحدثنا طويلا عن الفيلم . . وعن الدور . . وعن أول اجر ساتقاضاه عن التمثيل . . كنت اتقاضى فى ذلك الوقت من عام ١٩٤٤ مرتبا شهريا قدره ستون جنيها . . وهو مبلغ كبير حسب ظروف ومقاييس تلك الفترة .
وقال لى كامل التلمسانى :
— لن نستطيع ان نكتب معك عقدا . . فانت موظف فى استوديو مصر . . ولكن سنعطيك مكافاة عن تمثيلك لدور البطولة . . وتحددت لى مكافاة قدرها مائتا جنيه . . انه أول اجر سينمائى اتقاضاه . . وايضا اول فرصة بطولة . . وعرفت

أن البطلة التى سأشاركها بطولة فيلم « السوق السوداء » هى الممثلة رائعة الجمال عقيلة راتب . . كانت جميلة كالبدر . .

وقال المخرج كامل التلمسانى بحسم :

— غدا يا عماد . . نبدأ التصوير .

زكى رستم . . أنقذنى من الجمهور الغاضب

اقترب اليوم الموعود الذى انتظرته طويلا . . يوم عرض أول أفلامى الروائية . . وأول أدوارى السينمائية . . فرغم حبى الشديد للسينما ، ظللت ألف وأدور حولها حائرا هائما دون أن أقدر على غزو قلبها . . كنت كالذى يحب معذبا من طرف واحد . . يطيل النظر إلى محبوبته . . ولا يطيق الابتعاد عنها . . لكنه لا يجرؤ على الاقتراب منها . . ولا يقدر على الاعتراف بالحب الصامت الذى يخفيه فى قلبه .

سنوات طويلة قضيتها خلف الكاميرا . . بعيدا عن الأضواء ، انشغلت بأعمال الحسابات والانتاج والتوزيع ، حتى كدت أقتنع بأن سنوات العمر ستمضى دون أن أقف أمام الكاميرا ، ودون أن أظهر على الشاشة . . لكن ها هو اليوم الموعود قد جاء . . اليوم الحلم . . اليوم المستحيل ـ اقترب . . فقد تقرر أن يكون عرض فيلم « السوق السوداء » فى دار سينما استوديو مصر .

كنت متشوقا لمعرفة رأى الجمهور . . لكن فرحتى كانت ممزوجة بالتوجس والرهبة . . فرحة خائفة . . أمل مهزوز . . سعادة مرتعشة . . فالذى ينتظر موعدا أو قرارا هاما لا يعرف النوم أو الراحة . . يلازمه التوتر . . ويساوره القلق . . وتعذبه الهواجس . . كنت مثل الطالب الذى أدى الامتحان . . ووقف ينتظر النتيجة . . النجاح أو الفشل . . يتوقع كل الاحتمالات ـ وينتظر كل المفاجآت . . كنت أخشى ألا يروق الدور للجمهور . . تخوفت من حكم النقاد . . فما أقسى حكم الناس على الناس . . البعض يكون بطبعه قاسيا . . ولا يترفق ولا يلتمس الأعذار . . ولا يقبل أى تبريرات أو تفسيرات . . وما أكثر الذين يحبون أن يكونوا قضاة غير منصفين . . وغير عادلين . .

ولقد حان وقت النطق بالحكم الفاصل فى قضية الممثل الجديد غير المعروف الذى اقتحم الشاشة بغير استئذان . . وبدون توقع . . فماذا سيقول الشهود ؟ ماذا سيقول

الجمهور ؟ . . وهل سيتفق رأى جمهور الشهود مع رأى النقاد القضاة ؟ هل سيقولون ان ذلك الممثل الجديد قد حاز القبول . . وأنه يستحق (**جواز المرور**) إلى عالم السينما العجيب والمدهش ؟

وبقيت أتعجل مرور الساعات . . ومر النهار بطيئا متأنيا . . وعيناى متعلقتان بعقربى الساعة اللذين يتحركان ببطء وكأنهما يعرفان حالتى ويتعمدان إغاظتى وإثارة أعصابى . . وبعد طول انتظار . . جاءت اللحظة التى أنتظرها . . لحظة إعلان النتيجة . . انتهى عرض الفيلم . . ورأيت مئات المتفرجين وقد تجمعوا أمام دار سينما استوديو مصر . . كانوا يهتفون . . قلت الحمد لله . . إن تلك الهتافات تعبير عن سرورهم . . لابد أن الفيلم أعجبهم . . لقد مر الامتحان الصعب بسلام . . ورحت أتأمل الجمهور من بعيد . . لكنى شعرت بالخوف يسرى فى جسدى عندما بدأت أتبين أن هتافات الجمهور ليست أبدا ودية . . وليست أبدا تعبيرا عن السعادة . . بل كانت هتافات عدائية جدا . . وغاضبة جدا . . وأيقنت أن الجمهور ليس راضيا عن الفيلم . . وليس مقتنعا بما رآه على الشاشة . .

يا لسوء الحظ . . أول فيلم أؤدى فيه دور البطولة يستقبله الجمهور ذلك الاستقبال غير السار . . وغير الودى . . ! ومرت عشر دقائق . . وربع ساعة . . ثم نصف ساعة ـ والناس أمام دار السينما لا يتحركون أبدا . .

يا له من جمهور عنيد . . لماذا كل ذلك الاصرار على الانتظار أمام مدخل السينما ؟ . . العبارات التى كانوا يرددونها وضحت كل شىء . . هتافاتهم الغاضبة . . الساخطة . . جعلتنى أشعر بأن أحداثا أفظع قد تقع أمام دار السينما . . أحداث لن تصورها الكاميرا . . ولن يرتبها المخرج . . بل ستكون من صنع الجمهور نفسه . . نهاية غير سعيدة لم نتوقعها أبدا . . وتذكرت ما قرأته ذات مرة عن المتفرجين الأجانب الذين قذفوا أبطال أحد الأفلام الجديدة بالبيض والطماطم تعبيرا عن استيائهم الشديد . . وعن عدم اقتناعهم بالفيلم . . فهل يتكرر ذلك الموقف أمام دار سينما استوديو مصر ؟ وشعرت ببعض الارتياح عندما لاحظت أن أيدى المتفرجين خالية من البيض والطماطم . . لكن هتافاتهم الغاضبة أقوى من البيض والطماطم . . وأقوى حتى من الأحجار . . نتلقى اللعنات بدلا من باقات الورود . . ونسمع الشتائم بدلا من كلمات الثناء والاعجاب ـ لكن أصبح واضحا أن التى ستحملنا . . سيارات الاسعاف !

ستتحول ليلة إنتاج الفيلم إلى ليلة افتتاح « غرزتين » فى رأسى . .

وفكرت فى الخروج من دار السيضا عن طريق السلم الخلفى . . يجب أن أهرب

حتى لا يرانى ذلك الجمهور الغاضب الذى ما زال يهتف (سيما اونطة . . هاتوا فلوسنا) .

لكنى تراجعت فى آخر لحظة . . فمن يدرينى . . فقد أكون انا المقصود بهذه الهتافات غير الودية . . لا اريد أن أبيت هذه الليلة فى المستشفى . . شىء مؤسف أن يقضى بطل الفيلم ليلة إنتاج فيلمه الأول داخل المستشفى . ونظرت إلى الأستاذ زكى رستم أحد ابطال الفيلم ـ وكأنى استنجد به . . ولاحظت أنه يعتزم الخروج رغم زحام الجمهور وتعبيراته الغاضبة . . فقررت أن أسير معه حتى أحتمى به . . فهو فنان معروف ومحبوب . . وسأكون تحت حمايته إذا ما فكر احد المتفرجين فى مضايقتى او ملاحقتى . . واقتربنا من باب الخروج ـ ودقات قلبى تتلاحق . . وعندما رأى الواقفون وجه زكى رستم افسحوا الطريق حبا واحتراما له . لكن واحدا من المتفرجين تقدم نحوى ، وقلت فى نفسى (لطفك يارب) . .

ويبدو أن ذلك المتفرج الطيب قد لاحظ ترددى فى الخروج من باب دار السينما فقال لى مطمئنا ـ (انت مالكش دعوة يا استاذ . . أنت عملت دورك كويس . . احنا عايزين المخرج) .

وأشفقت على كامل التلمسانى صاحب الفضل الأول فى تقديمى على الشاشة ، فهو ليس فقط مخرج الفيلم . . بل هو أيضا مؤلف القصة وكاتب السيناريو . . ولم يكن الجمهور وحده ساخطا عليه . . فالصحافة المصرية لم ترحب بالفيلم ، لكن الصحافة الأجنبية كانت فى صفه ودافعت عنه بقوة . وأذكر أن صحيفتى (**الجورنال دى إيجبت**) و (**الأجيبسيان جازيت**) قد قالتا عن **المخرج كامل التلمسانى** انه سابق لعصره . . وأن الجمهور لم يكن على مستوى الفيلم الذى نفذ بأسلوب سينمائى متطور ، فكاتب السيناريو الذى هو فى الأصل فنان تشكيلى لم يهتم كثيرا بالتفاصيل التى يحب أن يفهمها الجمهور وحده . . لكن الجمهور كان له رأى آخر غير رأى الصحف الأجنبية .

والغريب أنه رغم فشل فيلم (**السوق السوداء**) إلا أنى كنت أكثر المستفيدين منه . . ورب ضارة نافعة كما يقال . . لقد أصبحت معروفا بل ومشهورا بعد فشل فيلمى الأول . . وكان الانطباع العام هو أننى أديت واجبى . . لكن الذنب لم يكن ذنبى . . وأصبحت معروفا لدى كل المخرجين الذين بدأوا يرشحوننى لأول افلامهم وتجاربهم السينمائية . . وبدأ أكثر من (مونتير) يتحولون إلى الاخراج السينمائى . . وقرر المونتير صلاح أبو سيف أن يخرج أول أفلامه على الشاشة .

بحـــر مــن الدمـــوع !

ورشحنى المخرج صلاح أبو سيف لدور البطولة فى فيلم « دايما فى قلبى » وشاركتنى فى بطولته نفس بطلة فيلمى الأول « السوق السوداء » عقيلة راتب . . لكن النتيجة كانت عكسية تماما ، ففشل اول افلامى السينمائية قابله نجاح كبير لتجربتى السينمائية الثانية التى اخرجها صلاح ابو سيف . . ولم يكن النجاح جماهيريا فقط . . فالنقاد ايضا رحبوا بالفيلم واحتفوا به . . ودعم فيلم « دايما فى قلبى » اسمى . . واكده كممثل جديد ينضم إلى مجموعة الممثلين المعروفين .

أما فيلم « **سجى الليل** » فكان خطوة كبرى فى حياتى السينمائية ـ بل لن أكون مبالغا إذا ما قلت أن هذا الفيلم قد أحدث انقلابا فى مسار السينما المصرية نفسها . . فقد كانت الأفلام فى ذلك الوقت إما غنائية أو كوميدية ـ باستثناء فيلم « العزيمة » الذى كان فيلما اجتماعيا ، ولذلك فإن أى فيلم تراجيدى أو ميلودرامى يموت البطل فى نهايته ـ وخال تماما من النكتة ـ كان يعتبر فى ذلك الحين شيئا غير عادى وغير مألوف ، وكان إنتاجه نوعا من المغامرة . لكن **المخرج بركات** قرر أن يخرج فيلم « **سجى الليل** » واختارنى لبطولته مع **ليلى فوزى وكمال الشناوى** وأستاذنا الكبير **محمود المليجى** . . وتقرر أن يتم تصوير الفيلم فى استوديو (**توجو مزراحى**) الذى قدم أيضا فيلم السيدة أم كلثوم (**سلامة**) وأفلام **ليلى مراد** بعد ذلك .

وكان دورى فى الفيلم دور طبيب يعمل فى أحد المستشفيات ـ لكنه يلتقط عدوى مرض السل من أحد المرضى . . فى الوقت الذى كان فيه الطبيب الشاب يعيش قصة حب قوية وصادقة مع أحدى الفتيات . . ومع اشتداد المرض وظهور أعراضه وآلامه بدأ الطبيب الشاب فى الانزواء بعيدا عن حبيبته . . فهو لا يريد أن يعترف لها بحقيقة مرضه الذى كان فى ذلك الوقت مرضا قاتلا لا علاج له ولا شفاء منه .

وادعى الطبيب الشاب أنه يحب إنسانة أخرى غيرها متصورا أن ذلك هو الهروب الطبيعى من مأزق المرض الخطير الذى أوقعته الظروف فيه . . وكانت بالطبع صدمة نفسية للفتاة الحسناء التى تصورت أن حبيبها قد نسيها وتخلى عنها من أجل فتاة أخرى . . وزاد من تضخم مأسانها أن أحد أصدقاء حبيبها قد تقدم طالبا الزواج منها . . وساءت صحة الطبيب الشاب وانهارت مقاومته أمام ذلك المرض القاتل ، ونقلوه إلى المستشفى وهو فى النزع الأخير . . لكن حبيبته تعرف الحقيقة وتذهب إلى المستشفى لكى تزوره بعد أن ظلمته وأساءت به الظنون . . لكن اللقاء حدث بعد فوات الأوان . . فقد كان الطبيب الشاب يودع الحياة ويلفظ أنفاسه الأخيرة . . وكان وداعا قاسيا مؤلما . . فقد مات حبيبها بين يديها .

قصة ميلودرامية طبعا . . وكان ذلك سر مخاوفى . . فالجمهور تعود على مشاهدة الأفلام الدرامية العادية والأفلام الكوميدية والغنائية . . لكنه لم يتعود على هذه القصص الميلودرامية الفاجعة . فهل يتقبل فيلما يموت بطله فى نهايته وتدور أحداثه عن الفراق والمرض والموت فى ريعان الشباب ؟

وانتهى المخرج بركات من إخراج فيلم « سجى الليل » . . وتقرر أن يعرض الفيلم بدار سينما ريفولى التى كانت أحدث وأجمل دور السينما فى ذلك الوقت ـ ولم تكن مخصصة أصلا لتقديم الأفلام المصرية ـ لكن كانت الفكرة أن يعرض فيلم « سجى الليل » لمدة يومين أو ثلاثة ثم يرفع بعد ذلك ليعرض بدلا منه فيلم أجنبى .

لكن الذى حدث كان مفاجأة لنا جميعا . . فقد حقق الفيلم نجاحا هائلا . . واستمر عرضه أربعة أسابيع متواصلة . . وكان ذلك رقما قياسيا بالنسبة لفترة عرض الأفلام الجديدة . . فالفيلم الناجح جدا هو الذى يستمر عرضه لمدة أسبوعين متواصلين . . لكن فيلمنا حطم هذه القاعدة واستمر على الشاشة لمدة أربعة أسابيع . . وكان من الصعب جدا الحصول على مقعد واحد خال . .

واصبح مشهد عربة الاسعاف الواقفة امام باب السينما ـ اصبح مشهدا يوميا مالوفا . . وغالبا ما كان رجال الاسعاف يخرجون من كل حفلة من الحفلات اليومية الأربع وهم يحملون احدى السيدات وهى فى حالة إغماء وفقدان للوعى .

اكثر من حالة إغماء فى اليوم . . وأكثر من سيدة تحمل كل يوم من داخل سينما ريفولى إلى عربة الاسعاف . . فبعض المتفرجات كن يفقدن السيطرة على دموعهن ومشاعرهن أمام هذه القصة الميلودرامية المؤثرة . . وحين يشاهدن عذاب المرض على وجه البطل الطبيب الشاب . . وبؤس الفراق بين العاشقين وموت الشاب فى النهاية بين يدى حبيبته .

والحقيقة اننى كنت اتعذب اثناء ادائى لهذا الدور ـ لكن أحدا لم يكن يعرف سر عذابى وشقائى . . فهذا المرض الخطير الذى عانيت منه تمثيلا على الشاشة خطف منى إنسانة عزيزة وحبيبة إلى قلبى . . اختى (بلستان) التى اختطفها الموت الغادر وهى فى سن العشرين . . كانت سمينة بعض الشىء وأرادت أن تنقص وزنها قليلا . . واثناء هذه الفترة التى اخضعت فيها نفسها للرچيم القاسى الذى لم يتم على أساس طبى سليم ـ اصيبت اختى (بلستان) بمرض السل اللعين الذى لم يكن له علاج حاسم فى ذلك الحين . . ونقلناها إلى المستشفى . . لكن حالتها الصحية كانت تتدهور بسرعة . . وكنت دائم الزيارة لها . . ورأيت اختى الحبيبة وهى تتعذب وتموت موتا بطيئا ـ حتى وافاها الأجل .

هذه التجربة المريرة استرجعتها واستعدتها أثناء تمثيلى لدور الطبيب الذى يصاب بنفس المرض الذى اغتال أختى وهى فى سن العشرين . . ويبدو أن ملازمتى لأختى أثناء محنتها جعلتنى اعرف كل ظواهر هذا المرض . . وكل التطورات التى يمر بها المريض . . كيف يتكلم ؟ كيف يسعل ؟ وملامح وجهه وشكله ونظراته أثناء المرحلة الأخيرة من المرض . . ويبدو أن ذلك كله قد أفادنى ـ دون أن أشعر ـ عند أدائى للدور بالاضافة طبعا إلى إحساسى العميق والصادق بهذه التجربة المريرة التى كانت أختى (بلستان) ضحيتها .

هذا كله ساعدنى على أداء دورى بصورة جيدة فى هذا الفيلم « سجى الليل » الذى كان نجاحه الكبير اتجاها قويا نحو القصص والأفلام الميلودرامية التى أصبحنا نسميها أفلام « الفواجع » .

ولابد أن أعترف بأن هذا الفيلم بالذات جعلنى أقف على أرض صلبة جدا . . بل ودفعنى دفعة قوية جدا نحو النجاح .

ولو أن المسئولين عن دار سينما ريفولى ـ ذلك الحين ـ تركوا الفيلم . . لاستمر عرضه لأسابيع أخرى . . لكن كما قلت لم تكن سينما ريفولى مخصصة للأفلام المصرية . . ولم يكن مسموحا حتى للجمهور المصرى بدخولها . . لكنهم قبلوا مضطرين « رغم أنوفهم » ذلك الجمهور المصرى . . قبلوه على مضض داخل سينما الأجانب لمدة أربعة أسابيع . . لقد أخطأوا فى حساباتهم . . ظنوا أن الفيلم سيستمر عرضه لمدة أربعة أيام فقط . . لكن الأيام تحولت إلى أسابيع . . (**كامل العدد**) . . لمدة أربعة أسابيع . . شىء لم يكن مألوفا فى ذلك الحين . . ولم يكن مألوفا أيضا أن يرى الناس فيلما ليست فيه نكتة واحدة . . أو رقصة واحدة . . أو ضحكة واحدة . . لكنه رغم ذلك كله فيلم نظيف . . هز مشاعر الناس . . وحرك دموعهم . . ومس قلوبهم . . لأنه ببساطة فيه نسبة عالية من الصدق . . وفيه أيضا مخرج مرهف الحس . . وقصة مؤثرة . . وممثلون جيدون محمود المليجى ومديحة يسرى وكمال الشناوى . . لقد تأثر الجمهور جدا بأحداث ذلك الفيلم المحزنة . . والحمد لله أن المخرج بركات قد حذف أجزاء من الموقف الأخير الذى يموت فيه بطل الفيلم . . ولو أن بركات لم يفعل ذلك . . لكانت سينما ريفولى قد غرقت فى بحر من الدموع .

الورقة الرابعة

وبدأ **المونتير كمال الشيخ** يتجه هو الآخر إلى الاخراج السينمائى . . وهو تحول طبيعى . . فمعظم من عملوا بالمونتاج تحولوا بعد ذلك إلى مخرجين . . سواء من

المصريين أو من العالميين . . المخرج الجيد بدايته الصحيحة (**الغرفة المظلمة**) . . غرفة المونتاج . . فى تلك الغرف المظلمة ولد أحسن المخرجين . . **صلاح أبو سيف** كان مونتيرا . . وهذا أيضا ما فعله **كمال الشيخ** الذى يتميز بعقليته المنتظمة والمرتبة جدا . . الفيلم دائما فى ذهنه من الألف إلى الياء . . بكل دقائقه وتفاصيله . . وتلك هى العقلية السينمائية الحقيقية . . أن يكون لدى المخرج تصور كامل للفيلم . . رؤية سينمائية واضحة لما سيقدمة على الشاشة . .

وذلك هو الفرق بين مخرج وآخر . . أن المخرج السينمائى ليس فقط هو الذى يقف داخل البلاتوهات والاستديوهات ليصيح بأعلى صوته (**بارتيه**) . . بل المخرج الصحيح هو الذى يمتلك عقلية سينمائية تحوى كل التفاصيل وتستوعبها جيدا . . وهو صاحب (**الرؤية السينمائية**) الواضحة التى نلمسها فى كل فيلم من أفلامه . . ولقد لمسنا من البداية اهتمام كمال الشيخ بأفلام التشويق والحركة . . بكل ما فيها من غموض وإثارة . . ذلك النوع من الأفلام لم يكن موجودا بصورة واضحة وقوية على الشاشة المصرية . . وهكذا شاركت فاتن حمامة فى بطولة أول فيلم يخرجه **كمال الشيخ** (**المنزل رقم ١٣**) . . وقد حقق نجاحا كبيرا . . لأنه كما قلت لم يكن مألوفا لدى الجمهور . . والمتفرج عادة يحب أفلام التشويق والاثارة . . لأن الغموض الفنى المقصود الذى ينفذ بشكل جيد يجعل الجمهور مشدودا أكثر إلى الشاشة . . الجمهور الذكى لا يحب الفيلم الذى تظهر نهايته من بدايته أو أحيانا من اسمه . . بل يحب الفيلم الذى يحترم عقليته . . ويتيح له الفرصة لكى يتخيل ويبحث عن النهاية المجهولة . . ولكى يتساءل ـ **كيف ستكون نهاية الفيلم ؟ ماذا سيكون مصير البطل والبطلة** ؟ وذلك هو أحد أسباب نجاح فيلم (**المنزل رقم ١٣**) . . لقد اجتمع فيه الغموض والتشويق . . والقصة الجيدة . . والتنفيذ الدقيق . . وهذه كلها أسباب كافية للنجاح .

وتكرر بعد ذلك ما حدث فى دار سينما ريفولى عندما عرضنا فيها فيلم « **سجى الليل** » الذى كان أول فيلم مصرى يستمر عرضه لأربعة أسابيع متواصلة فى الدار السينمائية التى كانت مخصصة فقط للأفلام الأجنبية . . وللجمهور الأجنبى . . تكرر نفس الموقف . . ولكن فى دار سينمائية أخرى (**مترو**) . . والعجيب أن عرضه استمر لمدة أربعة أسابيع ـ تماما كما حدث مع فيلم « **سجى الليل** » فى دار سينما (**ريفولى**) .

وأصبحت تقريبا مرتبطا بالأعمال السينمائية الأولى لأكثر من مخرج جديد . . هكذا شاءت الصدفة أن أكون مشاركا فى التجارب السينمائية الأولى للعديد من المخرجين

الذين أصبحوا فيما بعد من كبار مخرجى السينما العربية .

وتكرر ذلك الموقف أيضا مع **المخرج عاطف سالم** الذى كان يعمل قبل ذلك مساعدا **للمخرج حلمى رفلة** ، حيث عملت مع عاطف سالم عندما أخرج فيلم (**الحرمان** » . . ولعل اشتراكى فى بطولة الأفلام الأولى لكثير من المخرجين هو الذى جعل أحد أصدقائى يسمينى « **الورقة الرابحة** » . . أو هكذا تخيلوا أنى أصبحت الورقة الرابحة والمضمونة فى نظر أغلب هؤلاء المخرجين .

البريمادونة . . وأنا

وأصبحت منهمكا ومشغولا باستمرار بأداء الأدوار الجديدة . . انتهى من هذا الفيلم لكى أستعد لفيلم آخر جديد . . ولعل ذلك هو السبب الذى جعلنى أشعر بالحاجة الشديدة للراحة والاستقرار . . فماذا بعد كل هذا العمل المتواصل ؟ وماذا بعد كل هذا النجاح ؟

لست من هؤلاء الذين يبهرهم النجاح فيفقدوا عقولهم واتزانهم ، ويبددوا عواطفهم وصحتهم فى فراغ ، ويهدروا مشاعرهم الانسانية فى الحانات . . بدأت أشعر بحاجتى إلى الاستقرار داخل بيت مع زوجة أقدرها وتقدر ظروف وطبيعة عملى وتقف إلى جانبى لتخفف عنى وتشاركنى رحلة الحياة بكل أحداثها ومفاجآتها المؤلمة والسارة معا .

كنت عادة ما اقضى سهراتى داخل نقابة الفنانين فى شارع عماد الدين ـ التقى مع زملائى من الفنانين والفنانات ونتحدث طويلا فى أمورنا الخاصة والعامة . . سهرات ودية طيبة تلك التى كنا نقضيها دائما داخل نقابة الفنانين .

وهناك رأيتها . . لم تكن بعيدة عنى . . فهى فنانة معروفة ـ بل كانت (**بريمادونة**) **فرقة الريحانى** . . صوتها جميل ومعبر . . تغنى بتفوق أغانى وألحان **سيد درويش وزكريا احمد** .

كان آخر أعمالها الفنية العرض الغنائى « **عزيزة ويونس** » الذى قدم على مسرح الأزبكية ـ واشترك معها فى بطولته يحيى شاهين ، وحسين رياض ، وقامت هى بأداء دور « **عزيزة** » ، وأدت ستة عشر لحنا غنائيا .

بدأت نشاطها الفنى بأداء المونولوجات . . ولم يكن ذلك شيئا سهلا ، بدليل أن أشهر وأكبر الفنانين بدأوا حياتهم الفنية بأداء وتقديم مثل هذه المونولوجات . . فن المونولوج كانت له قيمة كبيرة فى ذلك الحين . . كنت أعرف فتحية شريف قبل أن أراها ، لكنى عرفتها أكثر من خلال جلسات ولقاءات نقابة الفنانين . . عرفتها عن قرب كإنسانة . . أنها مثلى تهفو إلى الاستقرار . . كانت قد تزوجت وأنجبت بنتا . . لكن

زواجها لم يستمر ، فأصبحت وحيدة تعيش فقط للغناء والمشاركة بصوتها الجميل فى العروض الغنائية الجديدة .

وتكررت لقاءاتى مع **فتحية شريف** . . وفى كل مرة كنا نشعر بحاجة كل منا إلى الآخر . . هى تبحث عن الاستقرار العائلى . . وأنا أيضا بطبعى أحب الاستقرار والحياة العائلية . . طبعا ستندهشون . . لأن الفكرة العامة عن الفنانين أنهم لا يحبون الاستقرار . . وكالأطيار يتنقلون من شجرة إلى شجرة . . الفنان قبل كل شىء إنسان . . يحلم بالاستقرار . . ويتمنى أن يكون له بيت وأسرة . . على أى حال كان ذلك طبعى . . الميل للحياة الأسرية المستقرة . . وذلك ما جعلنى أقترب من القرار الحاسم . . قرار الزواج . .

وتزوجت **فتحية شريف** فى عام ١٩٤٦ . . واستمرت حياتنا العائلية هادئة موفقة . . وزاد من تفاهمنا أنها فنانة مثلى . . وتقدر ظروف وطبيعة عملى . . الزوجة غير الفنانة تغضب وتثور إذا ما دق التليفون . . وكانت المتحدثة فتاة أو سيدة معجبة تسأل عن الفنان الممثل . . أو تعبر عن إعجابها بأدائه لأحدث أدواره . . أو ربما تنتقد طريقة أدائه لأحد الأدوار . . بدافع الحب والخوف عليه ـ الزوجة غير الفنانة لن تفهم ذلك . . وستشتعل فى قلبها نيران الغيرة التى دمرت بيوتا كثيرة كانت هادئة ومستقرة وسعيدة . . لكن الحقيقة أن زوجتى الفنانة فتحية شريف كانت لا تغضب عندما تسأل عنى معجبة . . وكانت تحاول أن تخفف من خجلى الشديد . . وكانت تقول لى أن ذلك شىء طبيعى . . فلماذا الحرج والخجل ؟

من الطبيعى أن يكون للممثل الناجح عشرات المعجبين والمعجبات . . وتعطينى سماعة التليفون وهى تبتسم بلا غضب . . وبدون ضجر . . أو غيرة حمقاء . . ولأنها فنانة فكانت تشاركنى معظم جلساتى مع بقية الممثلين والمخرجين . . فعندما جاء المخرج عز الدين ذو الفقار لكى نتفق معا على الفيلم الجديد (أنا الماضى) . . كانت هى حاضرة معنا . . تشاركنا الحوار والراى . . بكل الحب والمودة . . وبكل الحرص على زوجها . . وزاد من تقديرى لها انها بدات تضحى بفنها من اجل حياتنا العائلية . . خاصة بعد ان انجبت ابننا (نادر) الذى اضفى على حياتنا مزيدا من الاستقرار . . ولكن هل سيطول ذلك الاستقرار العائلى . . ليس كل ما يتمناه المرء يتحقق . . والرياح لا تاتى عادة بما تشتهيه السفن !

فى قطــار الرحمة . . أحببت شــادية

ماذا يريد الانسان غير زوجة تقدر ظروفه . . وتخفف عنه متاعبه . . وتقف إلى جانبه مشاركة إياه رحلة الحياة الشاقة الطويلة ؟

حمدا لله فقد وجدت تلك الزوجة التي تقدر ظروف عملي . . وتحاول بكل جهدها أن تسعدنى . . وزاد من تقديرى لها تضحيتها من أجلى . . توقفت عن ممارسة نشاطها الفنى وهى فى قمة نجاحها . . لكى توفر كل وقتها وطاقتها لرعاية ابننا (نادر) . . وجدت فى نشاطى الفنى تعويضا عن حرمانها من العمل الفنى الذى توقف بسبب الزواج . . أصبح نجاحى نجاحا لها . . والحقيقة أننى لم أجد الزواج عائقا يعطلنى أو يؤخرنى ويبعدنى عن العمل السينمائى . . بالعكس . .

كانت مرحلة ما بعد الزواج مليئة بالحماس . . وبالأمل . . وبالعمل . . أننى أؤمن بالفال الحسن . . وقد كان زواجى من فتحية شريف فألا حسنا . . فبعد الزواج انهالت على عقود العمل فى الأفلام الجديدة . . وتوثقت علاقاتى بالمخرجين . . فإلى جانب بركات والتلمسانى . . وصلاح أبو سيف . . وكمال الشيخ . . وعاطف سالم . . توثقت علاقاتى أيضا بضابط المدفعية الذى أحب السينما حبا رومانسيا رائعا (عز الدين ذو الفقار) . .

كان عز بالنسبة لى اكتشافا . . رجلا ضخم الجسم . . لكنه رقيق المشاعر إلى أبعد الحدود . . أنه فنان وضابط . . شخصيتان فى جسد واحد . . الرقة إلى حد الشاعرية . . والانضباط إلى حد الغلظة . . من لا يعرفه جيدا يتصور أنه لم يستطع التخلص من جدية وجفاف ضابط المدفعية . . لكن الذين عرفوه مثلى اكتشفوا فيه رقته المتناهية . . وشفافية روحه . . وعمق تفكيره . . كان فى أعماقه طيبا جدا . . وإنسانا جدا . . وكان (**أناه الماضى**) هو أول الأفلام التى جمعتنى بالمخرج عز الدين ذو الفقار . . لقد أحببته . . وأصبح من القلائل الذين فتحت لهم قلبى . . وبيتى . . وتوثقت بيننا العلاقات الفنية . . والأسرية . . واحترمت فيه أيضا حرصه على أن

يكتب بنفسه سيناريوهات أفلامه . . وعندما يكون المخرج صاحب الفكرة . . وعارفا بأدق تفاصيلها . . فإن إحساسه بالفيلم يصبح أقوى . . وتتحول القصة فى ذهنه إلى شريط من الصور المتحركة . . وبعد أول جلسة مع عز الدين ذو الفقار تساءلت فى حيرة . . **كيف ضل ذلك الفنان طريقه إلى سلاح المدفعية ؟** . . أنه صاحب عقلية سينمائية . . وكان لابد أن يتخذ قراره الحاسم بأن يعيش بقية أيام وسنى عمره فى أنسب مكان . . فى عالمه الحقيقى . . داخل بلاتوهات السينما . .

واكتملت سعادتى عندما علمت ذات يوم بخبر ترشيحى مع فريد شوقى وساميه جمال للاشتراك بالتمثيل فى فيلم (الصقر) الذى كان مفروضا أن يتم تصويره فى إيطاليا . . أننى لا أنسى ذلك الفيلم أبدا . . فبسببه كدت أفقد احدى أصابعى . . كان المفروض أن تكون هناك نسختان من الفيلم . . نسخة إيطالية . . ونسخة مصرية . . باعتباره إنتاجا مشتركا بين مصر وإيطاليا .

وكانت (**سيلفانا بامبانينى**) تشارك (**فيتوريو چاسمان**) فى بطولة النسخة الايطالية . . وتم الاتفاق على أن ينفذ تصوير المناظر الداخلية فى استوديوهات روما ، أما المناظر الخارجية فتقرر تصويرها فى صحراء مصر .

وكان دورى فى الفيلم يتطلب أن أركب الخيل . . وأؤدى الحركات الصعبة . . وأن أقاتل بالسيف . . دور يتطلب مهارات جسدية ورياضية خاصة . . ومثل تلك الأدوار تأخذ من الممثل جهدا مضاعفا . . مهارات فنية . . ومهارات جسدية . . لكنها على أى حال تجربة جديدة لابد من خوضها حتى النهاية مهما كانت صعوبتها . . وكان يؤدى فى النسخة الايطالية ممثل اسمه (**انزو فيرمونتى**) . . هو فى الأصل بطل من أبطال الملاكمة فى إيطاليا إنسان طيب للغاية . . لكنه ممثل ردىء للغايه . . المهم حدث بعد أن تعارفنا أن قلت له فى أحد الأيام .

— (ما رأيك يا أنزو لو تسجل نفسك فى النسخة العربية . . بينما أسجل أنا نفسى فى النسخة الايطالية . . ونظر إلى (أنزو فيرمونتى) مندهشا . . ويبدو أن بطل الملاكمة لم يفهم مقصدى . . ومضيت اشرح له الفكرة التى طرأت على ذهنى . . وكان الهدف منها أن أظهر فى النسخة الايطالية حتى ولو فى دور صغير . . دور (كومبارس) على أساس أن يظهر (أنزو) فى النسخة العربية فى دور صغير ايضا . . فما قيمة العمل فى ذلك الانتاج السينمائى المشترك ، إذا لم نتبادل الخبرة . . والرأى . . والأدوار ؟

ما قيمة أن نظهر نحن فى النسخة العربية . . وأن يظهروا هم فى النسخة الايطالية ؟ أن المكسب الحقيقى هو أن يظهر ممثل مصرى فى النسخة الايطالية . .

وأن يظهر ممثل إيطالى فى النسخة المصرية . . حتى ولو لمجرد لحظات . . كانت تلك الفكرة قد راودتنى وشغلتنى . . سواء أكانت خطأ أم صوابا . . لكنى هكذا فكرت . . ولم يعد باقيا إلا أن يوافق الايطالى (أنزو) . . ولم أجد صعوبة فى إقناعه . . وعندما ابتسم مرحبا . . عرفت أن الفكرة قد أعجبته . . وكان الدور الذى سأؤديه فى النسخة الايطالية يتطلب منى أن أشترك مع قبيلتى فى مهاجمة قبيلة أخرى . . ثم أقوم باغتصاب إحدى الفتيات ـ تمثيلا طبعا ـ هذا هو كل الدور الذى سأؤديه فى النسخة الايطالية . . مشاركة القبيلة فى الهجوم . . ثم اغتصاب الفتاة . . وبهذه الطريقة سأتمكن من أداء دورين فى فيلم « **الصقر** » . . دور رئيسى وهام فى النسخة العربية . . ودور ثانوى « **كومبارس** » فى النسخة الايطالية .

وأصبح كل شيء جاهز للتصوير . . وعندما صاح المخرج « **بارتيه** » اندفعت كما هو محدد . . اندفعت مع أفراد قبيلتى . . وبدأنا فى مهاجمة القبيلة الأخرى . . ثم قفزت من فوق حصانى عندما لمحت الفتاة التى لابد أن أغتصبها حسب السيناريو المكتوب . . وبدأت أطارد الفتاة . . هى تجرى . . وأنا أندفع خلفها . .

وأخيرا أمسكت بها . . وجذبتها نحوى . . فبدأت تقاوم . . لكنى لم أيأس . . ـ كما يقول السيناريو ـ كانت فتحة صدرها مصنوعة من القفطان الحريرى . . وعندما حاولت أن أفتح جلبابها من ناحية فتحة الصدر اشتبك إصبعى فى الحد الحريرى المحيط بفتحة الجلباب . . وحاولت أن أجذب إصبعى . . ولكن بلا جدوى . . كان من الصعب انتزاعها . . وبكل قوتى انتزعت إصبعى المشتبكة بفتحة الجلباب . . ولم أشعر بالألم الشديد إلا بعد انتهاء التصوير . . وحملونى إلى الطبيب الذى سمعت منه الحقيقة التى أحزنتنى وأزعجتنى . .

ـــ إن إصبعه مكسورة) . .

عليك اللعنة يا أنزو . . لماذا وافقت على أن أظهر بدلا منك فى النسخة الايطالية . . لماذا لم ترفض يا أنزو ؟ أنت بطل ملاكمة . . وكنت ستنفذ لقطات المطاردة والاغتصاب أفضل منى . . لكن ما ذنب أنزو ؟

أنه ذنبى أنا . . أنا الذى اقترحت عليه الفكرة . . وهو من شدة تهذيبه وافق . . أنها مجاملة متبادلة . . خدمة مشتركة . . لكن ثمن ظهورى فى النسخة الايطالية كان فادحا . . ومؤلما . . كسر إصبعى . . ونصحنى الطبيب بتجنب الحركات الصعبة حرصا على إصبعى المكسورة . .

وعندما قلت لهم ـ (**أعطونى أجر الطبيب الذى عالجنى**) قالوا ـ (**أن التأمين يشمل فقط أبطال الفيلم . . ولا يشمل أبدا الكومبارس**) !

قلت ـ لكنى بطل الفيلم .

قالوا ـ أنت بطل الفيلم فقط فى النسخة العربية وليس فى النسخة الايطالية . . وإصابة إصبعك حدثت فى النسخة الايطالية . . وليست فى النسخة العربية .

وادركت أن التامين لحسابهم هم كشركة . . وليس لحسابنا نحن الفنانين . . ولو حدث ـ لا قدر الله ـ ومات أحدنا أثناء العمل . . فإن التأمين سيصرف لحساب الشركة التى ستدفع مبلغ التامين لبطل آخر جديد !

وطلبوا منى الاستقالة

وبقيت ثمانى سنوات أعمل ممثلا سينمائيا نظير مكافآت تدفع لى حسب ظروف الدور والعمل فى كل فيلم جديد . . لم يكن من السهل توقيع العقود معى . . لأنى كنت ما أزال فى وظيفة تابعة لاستديو مصر . . صحيح أن المكافأة التى كنت أتقاضاها قد ارتفعت من مائتى جنيه إلى ٩٠٠,٨٠٠ جنيه ـ لكن هذا الوضع القلق يجب أن يحسم بشكل نهائى . لقد أصبحت نجما سينمائيا معروفا . . واستمرارى فى العمل الوظيفى يسبب لى نوعا من الحيرة .

وذات يوم فوجئت باستدعائى من مكتب محمد بك رشدى رئيس بنك مصر الذى كان متزوجا من ابنة طلعت حرب باشا . . أنه إنسان مهذب ومحترم للغاية . . وذهبت للقائه فى مكتبه وقلت له ـ أنا تحت امرك . .

وبدا رئيس بنك مصر يتحدث . . لكنى لاحظت فى كلماته كثيرا من الحرج . . إلى أن قال لى فى النهاية .

— لقد اصبحت الآن مشغولا جدا بالتمثيل . . واعتقد أنه من الصعب أن تجمع حاليا بين الوظيفة والتمثيل . . وعليك أن تختار . . إما أن تحتفظ بالوظيفة ـ وسنعطيك فى هذه الحالة علاوة كنوع من التعويض . . وإما أن تستقيل .

وكان فى جيبى فى تلك اللحظة عدد من العقود التى وقعتها لتمثيل أدوار وأفلام جديدة تبلغ قيمتها خمسة آلاف جنيه . . لكنى سألت رئيس بنك مصر :

— وكم ستبلغ هذه العلاوة ؟

قال :

— عشرة جنيهات . .

(وكانت الجنيهات العشرة فى ذلك الحين مبلغا كبيرا لا يستهان به) .

وكدت اقول له ـ نعم سأستقيل . . لكن حبى الشديد لاستوديو مصر أوقف

الكلمات فى حلقى . . اننى أشعر أننى ولدت وكبرت فى ستوديو مصر . . عرفت فيه معنى النجاح . . والأمل . . والاصرار . . وعشت فيه أهم الذكريات والأحداث . . رئيسا للحسابات . . ثم مديرا للانتاج . . ثم مديرا للتوزيع . . اننى أشعر بأن استوديو مصر مثل بيتى تماما . . يؤسفنى فراقه . . ويضجرنى الابتعاد عنه . . كنت أتمنى أن أظل محتفظا بالوظيفة حتى لا أحرم من هذا المكان الذى أشعر بأنه ليس فقط بيتى . . بل جزء هام وخاص من حياتى . .

لكن رئيس بنك مصر ينتظر منى القرار النهائى . . ولابد فى النهاية من تضحية . . إما أن أضحى بوظيفتى وإما أن أضحى . . لا . . لا . . وقلت لرئيس بنك مصر بصوت امتزج فيه بالتأثر الحقيقى :

— لا يا افندم . . اعفينى من الوظيفة . . سأستقيل .

واعطونى مكافأة قدرها ٤٠٠ جنيه بمجرد الانتهاء من إجراءات الاستقالة . وكانت لحظة مؤثرة جدا تلك التى ألقيت فيها النظرة الأخيرة على تلك الغرفة الحبيبة التى عشت فيها أجمل الذكريات . . واندفعت خارجا حتى لا أبكى . .

وداعا أيها الباشكاتب العزيز . . يا من تعيش فى شراييني . . فى دمي . . وداعا يا مدير الانتاج . . وداعا يا مدير التوزيع . . مهما يحقق الانسان من نجاح ، فأن الأيام الأولى فى حياته تظل مهبط الذكريات . . أيام الأحلام المستحيلة . . وانتظار الغد المجهول . . لولا وظيفة (**الباشكاتب**) فى استوديو مصر – ما كنت اقتربت من عالم السينما . . ولا عشت أحداثه ومشاكله وتفاصيل تفاصيله . . ولربما كنت قضيت بقية أيام حياتى وراء مكتب فى مصلحة حكومية . . ولذلك سأظل ما حييت وفيا لوظيفة (**الباشكاتب**) التى لولاها ما كنت اندفعت فى طريق الأضواء . . وما كنت وصلت إلى الشاشة الفضية . . لأصبح واحدا من نجومها .

آه لو كنت أستطيع أن أجمع ما بين الوظيفة والتمثيل . . ليس حبا فى المال . . ولكن وفاء للوظيفة التى ساعدتنى . . أنه الاختيار الصعب . . وعندما يكون الاختيار بين الوظيفة الروتينية والعمل الفنى . . فإن العمل الفنى هو الذى يفوز . . مهما كانت الوظيفة عزيزة على النفس .

محطة منتصف العمر

واستمرت حياتى الأسرية هادئة . . وادعة . . بعد أن عرفت معنى الاستقرار مع زوجتى فتحية وابنى نادر الذى كنت أراه يكبر أمامى كل يوم . . أسرة صغيرة تعيش وسط جو من التفاهم والثقة المتبادلة . . واستمر نشاطى الفنى فى التصاعد يوما بعد يوم . .

وتكرر ظهورى مع فاتن حمامة ومديحة يسرى . . والعمل مع فاتن مريح . . فهى إنسانة ملتزمة جدا . . تحترم عملها . . لكن ربما كانت مديحة يسرى مناسبة ولائقة أكثر من ناحية الشكل للظهور معى . . خاصة أنى لم أكن صغير السن . . كانت فاتن تبدو أمامى أصغر كثيرا منى . . أما مديحة فكانت تعطى الاحساس بأنها سيدة . . وانها من ناحية الشكل مناسبة أكثر للظهور أمامى فى الأفلام .

وكان يمكن أن تستمر حياتى هادئة هكذا لسنوات عديدة قادمة ـ لولا ذلك القطار الذى توقف فجأة فى محطة منتصف العمر . . فانطلقت مع صفارته وضجيجه رياح التغيير التى هبت دون توقع على حياتى الهادئة . . أقصد التى كانت هادئة .

حدث أن أعلنت ثورة ٢٣ يوليو . . ورأى الفنانون أن يقوموا بتلك المظاهرة الفنية تعبيرا عن ترحيبهم بإعلان الثورة . .

وكان المفروض أن نركب هذا القطار . . **قطار الرحمة** . . لكى ينطلق بنا من أسوان حتى القاهرة متوقفا فى كل محطات السكة الحديدية . وتقرر أن نهبط من القطار فى كل محطة لكى نقدم هذه الحفلات الغنائية مساهمة فى جمع التبرعات . وحدد لهذه الرحلة فترة زمنية قدرها ٢٤ يوما . . وكان دورى هو تقديم المطربين والمطربات الذين سيقدمون أغانيهم أمام الجمهور .

وعندما توقف القطار فى محطة سوهاج اندفعت مسرعا إلى داخل المدينة أسأل كل من يقابلنى .

ـــ من فضلك . . أين مسكن باشمهندس السكة الحديد ؟

وتصور بعض الناس الذين سألتهم أننى أحد أقرباء الباشمهندس . . وأننى أرغب فى زيارته ، رغم أنى لا أعرفه ولا أذكر حتى اسمه . . كنت أريد فقط أن أرى البيت الذى يقيم فيه . . فهنا فى سوهاج رأيت مع أخى التوأم عبد الرحمن نور الحياة لأول مرة . . أريد أن أرى ذلك البيت الذى كان يعيش فيه ابن الباشمهندس السابق لسكك حديد الوجه القبلى .

ووصلت أخيرا إلى البيت الذى ولدت فيه . . بعد كل هذه السنين التى ولت من عمرى أعود إلى المكان الذى خرجت منه إلى هذه الدنيا . . دائما نشعر بحنين جارف إلى الأماكن التى ولدنا فيها .

وإلى جانب البيت المخصص لباشمهندس السكة الحديدية كان يوجد البيت المخصص لمدير رى الوجه القبلى والذى اقام فيه فى يوم من الأيام عبد الله باشا وهبى والد الفنان الكبير يوسف وهبى .

وبالطبع لم أدخل بيتنا . . أقصد البيت الذى كان يعيش فيه أبى وامى منذ سنوات بعيدة . . اكتفيت فقط بالتامل من بعيد ، لدرجة ان الرجل الذى قادنى إلى البيت ظل واقفا يتطلع نحوى بدهشة شديدة . . ولعله كان يسأل نفسه ـ لماذا يسأل عن البيت إذا كان لا ينوى الدخول إليه ؟

نفس الموقف تكرر فى أسيوط ، فبمجرد أن توقف القطار فى محطتها حتى اندفعت إلى داخل المدينة أبحث عن البيت الذى قضينا فيه عاما كاملا . . لكنى كنت وقتها شابا . . ولذلك لم أسأل أحدا عن بيت أسيوط الذى كنت ما أزال أذكره وأعرفه دون حاجة إلى دليل يرشدنى إليه .

وبدأت أساهم بتقديم المطربين والمطربات للجمهور فى كل محطة جديدة يتوقف فيها القطار . . قطار الرحمة . .

وكان من بين المطربات المشاركات فى حفلات قطار الرحمة الغنائية . . المطربة شادية . . قدمتها أكثر من مرة فى معظم البلاد التى قدمنا فيها هذه الحفلات الغنائية . . **وتبادلنا عبارات المجاملة . . ثم كلمات الشكر . . ثم تعبيرات التقدير . . ويوما بعد يوم توطدت علاقتنا .**

وطالت فترات الحديث بيننا سواء فى القطار او داخل دور السينما التى كنا نقيم فيها هذه الحفلات الغنائية كلما توقف القطار فى محطة جديدة . . وعندما توقف القطار فى آخر محطة . . فى القاهرة . . شعر كل منا برغبة قوية فى رؤية الآخر مرة . . ومرات أخرى كثيرة .

أقوى من الحب

كان موقفى حرجا وشائكا . . فأنا زوج . . وحياتى الزوجية هادئة ومستقرة . . ولى طفل أحبه . . ورغم ذلك كله لم أقدر على مقاومة هذه الدعوة الحارة القادمة من أعماق نفسى التى تدفعنى دفعا للذهاب للقاء شادية . . صراع نفسى نشب فجأة فى داخلى . . صراع بين الزوج الوقور الذى يريد أن يتجنب العواطف التى توشك أن تهب فتقتلع جذور استقرار حياته الزوجية . . وبين مشاعر الشباب المتأججة التى لا تعترف فى معظم الأحيان بالعقل أو المنطق وتندفع هائجة غير عابئة بشىء . وكنت أشعر بأن الشاب الذى فى داخلى هو الذى يوشك أن ينتصر على منطق الزوج الوقور !

اية قوة مجهولة تلك التى تغير مسار سفينة حياتى ، فتجعلها تتجه نحو مرفا آخر . . وشاطىء غير الشاطىء الذى كنت انوى أن أرسو واستقر عليه حتى لحظات الممات .

إيه قوة تلك التى تحركنا فى الاتجاه الآخر المضاد . . قد يكون الانسان ذكيا . . وواعيا . . ومدركا لأمور كثيرة . . ويعرف ما الذى يريده بالتحديد . . وفى أى اتجاه يسير . .

ورغم ذلك تتجه سفينة حياته إلى شاطىء آخر غير الذى يريده . . ويجد نفسه مستسلما لرياح المقادير التى تحركت نحو الشاطىء المجهول .

هل هى الرغبة فى تحدى النفس . . أم تحدى المنطق . . والزمن . . والمجهول ؟ ما الذى أصاب عقلى وقلبى منذ ان ركبت ذلك القطار الذى اسمه قطار الرحمة ؟

اننى أبدو كما لو كنت مسلوب الارادة . . أسير كالمنوم مغناطيسيا . . لا اقاوم . . ولا أنوى المقاومة . . بل أبدو مأخوذا بذلك الذى يحدث لى . . وإن كنت أحيانا قد أوشكت على اتخاذ قرار بالفرار من معركة القلوب التى ينتصر فيها الحب دائما . .

وشاءت الظروف أن يتم ترشيحى لبطولة فيلم جديد . . وامام من ؟ شادية . . وجمعنا مرة أخرى فيلم « اقوى من الحب » الذى يخرجه عز الدين ذو الفقار . . ويجرى تصوير احداثه فى الاسكندرية . وهكذا عدنا من جديد لنركب معا قطار الرحمة لم يكن يتحرك هذه المرة فوق القضبان الحديدية . . بل كان ينزلق فوق رمال الاسكندرية الناعمة . . ولا تستطيع قوة ان تمنع اندفاعه نحو المجهول الغامض .

كنت أؤدى فى ذلك الفيلم دور ضابط مبتور الذراع متزوج من طبيبة (مديحة يسرى) كانت تعامله بجفاء . . وفى الوقت الذى اختفى فيه الحب داخل بيت الزوجية ـ وبينما هو متعطش للكلمات الودودة الرقيقة . . والعواطف الدافئة . . تظهر فى حياته هذه الانسانة الأخرى (شادية) التى تغدق عليه من حنانها وحبها . . وبلا حدود لقد ظهرت فجأة فى ليل حياته المظلم لكى تعيد إليه البهجة المفقودة والأمل الضائع .

ويبدو أن قصة الفيلم العاطفية قد ألهبت مشاعرنا . . وأشعلت نار الشوق فى أعماقنا . .

ما الذى حدث لى ؟ هل هذا خطا ام صواب ؟

أننى لست من هؤلاء الرجال الذين يغازلون الفتيات والسيدات ويلاحقونهن بإصرار عجيب يصل أحيانا إلى حد الصفاقة . . كانت صحتى جيدة . . فأنا ابدو أصغر من عمرى بعشر سنوات . . لأننى لم أسرف فى تبديد طاقتى وشبابى خلال فترة المراهقة . . كنت مولعا بالألعاب الرياضية . . ولم يكن عندى وقت أضيفه فى هذه

المعاكسات التى تشغل المراهقين عادة فى مثل ذلك العمر . ومضت فترة المراهقة لكنى ظللت أبدو دائما لمن يرانى أصغر من عمرى الحقيقى بعشر سنوات . . ورغم صحتى الجيدة ومشاعرى الشابة . . لم أكن أسعى أبدا لمعاكسة ومطاردة الفتيات . .

ربما كنت انطلق من موقفى هذا من مبدأ أخلاقى . . **وكنت دائما أسأل نفسى - هل اقبل ان يحدث ذلك مع واحدة من أخواتي ؟**

لكنى وجدت نفسى فى موقف لا أحسد عليه . . رجل متزوج وقع فى الحب ولا يستطيع أن يهرب منه ولا أن يجد حلا . . ولم أجد أمامى غير هذا الحل الوحيد . . الانفصال عن زوجتى فتحية . . لقد كنت دائما صادقا فى مشاعرى معها . . لم أمارس معها الكذب . . ولا أستطيع أن أخدعها . . فلماذا لا أعترف بالأمر الواقع - بأن مشاعرى نحوها قد تغيرت . . أو على الأقل لم تعد قوية كما كانت . . قطار الرحمة هو المسئول عن كل ما حدث . .

وكان لابد أن أفترق عن فتحية . . فأنا لا أجيد لعبة المراوغة والخداع . . ولا أستطيع أن أتحمل كل هذا العذاب النفسى . . النهايات دائما تكون مؤلمة ودامعة . . البدايات عادة ما تكون سهلة . . أما لحظات النهاية فتكون دائما مختلطة بالآلام والدموع . . أهم شىء كان اتفاقنا على المحافظة على ابننا نادر وحمايته من الآثار السلبية لتلك التجربة .

وبعد ثمانى سنوات من الحياة الزوجية انفصلت عن زوجتى فتحية شريف . . وفى عام ١٩٥٣ . . وفى الاسكندرية بالتحديد . . وبعد انتهائنا من تمثيل فيلم (أقوى من الحب) تزوجت شادية . . وحكايتى مع شادية حكاية طويلة . . وعجيبة !

عندما توقف القطار فى محطة الفراق . . وقلت وداعا !

● بعد زواجى من شاديه فكرت للمرة الأولى فى خوض تجربة الأنتاج السينمائى . . صحيح أنى عملت من قبل مديرا للأنتاج فى استديو مصر . . لكنى فى تلك المرة اردت أن أنتج لحسابى الخاص . . بأموالى . . وبجهودى الكاملة . . وشجعتنى على تنفيذ تلك الفكرة خبرتي الأنتاجيه التى كنت قد أكتسبتها خلال فترة عملى باستديو مصر . .

كانت شاديه حتى ذلك الوقت متخصصه فى تقديم الادوار (المخفيفه) فى الأفلام ذات الطابع الكوميدى الغنائى . . وكانت عادة ما تقدم بعض الأغانى ضمن أحداث تلك الأفلام التى شاركها فى بطولتها كمال الشناوى وأسماعيل ياسين ، ولا انكر أن تلك الأدوار الخفيفة التى اظهرتها فتاة مرحة خفيفة الظل . . قد حققت لشادية قدرا من النجاح . . لكنها لم تعبر عن كل طاقاتها الفنية . .

كنت اشعر أن فى أعماقها كنوزا فنيه خافية تحتاج فقط لمن يكتشفها . . أنها اكبر بكثير من تلك الأدوار الخفيفة التى أعتادت تقديمها . . ليس ذلك دفاعا عن زوجتى أو تعصبا لها . . فكل زوج يدافع عن زوجته التى أختارها شريكة لحياته . . ويرى فيها كل المزايا . . وكل المعانى الجميلة . . وانا مثل اى زوج محب لزوجته كنت أجد فى شاديه دائما الأنسانه الرقيقه . . المهذبه . . ابنة الأصول التى جاءت من بيت طيب . . ولم تات من الشارع !

لكن رأيى فيها كفنانه لم يكن عاطفيا أبدا . . أنه إحساس فنان قبل أن يكون إحساس زوج . . وأصبح من بين أهداف حياتى الجديده أن أرى شاديه فى المكان المناسب اللائق بها . . وأن يعرفها الناس كما لم يعرفوها من قبل . . ممثله تقدم الأدوار الكبيرة التى تحتاج لممثله كبيرة وليس لمطربه تمثل وتغنى . . لذلك عقدت العزم على أن أخوض تجربة الأنتاج السينمائى مهما كانت نتائجها وعواقبها . . وأول أسس النجاح أختيار القصة المناسبة التى بدونها لا يكون للعمل السينمائى الناجح معنى أو وجود .

لم أكن أشعر بأنها مغامرة . . بل كنت أحاول بهدوء أن أضمن لأنتاجى السينمائى الأول أفضل الظروف . . وأن أستفيد بقدر الامكان من تجاربى السابقه فى أستديو مصر . . ويكفينى ويرضينى جدا ان اغطى تكاليف الانتاج . . وأن اقدم افلاما أفخر بها عندما اقول انها من انتاجى . . افلام لا أخجل منها . . ولا أخفض رأسى اسفا عندما يسألون عن منتجها . .

ووفقنى الله فى العثور على قصتين جيدتين (**شاطىء الذكريات**) و (**ليلة من عمرى**) . . وبدأت أشرع عمليا فى الخطوات العملية للأنتاج . . كنت أشعر أن شادية قلقة . . فدورها فى (**شاطىء الذكريات**) مختلف عن أدوارها السابقة . . وأيضا فى (**ليلة من عمرى**) مختلف كثيرا عن الأدوار التى أدتها فى أفلامها ذات الطابع الخفيف والمرح . . ولأنى مثلها ممثل . . كنت أحترم ذلك القلق الذى يلازم الممثلين والممثلات خاصة عندما يخوضون تجربة فنيه جديدة . كانت شاديه تتصور أن ادوارها الخفيفة الغنائية هى أنسب الأدوار لها . . ولا تتصور نفسها أبدا وهى تؤدى دورا خاليا من المرح . . ولا تتخيل نفسها بطله لفيلم خال من الأغانى الناجحه التى تقدمها . . لكن مع مرور أيام التصوير ، بدأ قلقها يزول بالتدريج . . ثم كانت الشهادة التقديرية التى حصلت عليها من الجمهور الواعى الذى أعجب بدوريها الجديدين فى (**شاطىء الذكريات**) و (**ليله من عمرى**) . .

كان هذان الفيلمان بداية لمرحله جديدة فى حياة شاديه انتقلت فيها من الأدوار الخفيفه الى الأدوار الجادة الكبيرة . وتحولت من أداء الأدوار ذات الطابع الخفيف الى أداء الأدوار التراجيديه المؤثرة . . من هنا كان أتجاهها لأدوارها الأخرى ذات القيمه الفنيه الكبيرة مثل دورها فى فيلم (**موعد مع الحياه**) إلى جانب فاتن حمامه . . ودورها فيما بعد فى فيلم (**المراه المجهولة**) . . وكان ذلك أحد الجوانب الأيجابيه فى حياتنا الزوجيه . .

النجاح المشترك شىء رائع . . أن أنجح أنا . . وأن تنجح زوجتى . . ليصبح نجاحنا المشترك قوه لنا نحن الأثنين . . لكن الحب الزائد عن الحد سلاح ذو حدين . .

فجاة توقف قطار الرحمة . . قطار السعادة . . توقف فى منتصف الطريق . . قبل الأوان . . قبل أن يصل إلى محطته الأخيره . . اقسى شىء أن يضطر المسافر للتوقف فى منتصف الرحلة . . ان ينزل فى محطة لا يرغبها . . أن ترسو سفينته فى ميناء لا يتوقعه . . وعلى شاطىء موحش لا يميل إليه . . النزول الاضطرارى مؤلم ومحزن . . لكنه أحيانا ما يكون ضروريا لاستمرار الحياة . .

ما زلت اذكر لقائى الأول مع شادية داخل قطار الرحمة المتجه إلى ابعد بلاد

الوجه القبلى . . ابتسامه فى المحطة الأولى . . وتعارف فى المحطة الثانية . . وإعجاب فى المحطة الثالثة . . و . . وعندما شعرت بحاجتى إليها . . قلت أنه موعدى مع السعادة . . وتركت زوجتى الأولى . . أم نادر . . ليس صحيحا أن الزوج الذى له أولاد يتخذ قرار الانفصال عن زوجته بسهولة . . ودون ألم . . بالعكس أنه أصعب قرار . . تضحية كبرى . . قرار إذا لم يكن صحيحا فإنه يدمر صاحبه . . كانت حياتى مستقرة مع زوجتى الأولى فتحية شريف . . كان كل شىء هادئا . . حتى ظهر ذلك القطار العجيب . . قطار الرحمة الذى هزنى حتى الأعماق . . وزلزل روحى . .

لكنى لم أكن أنتظر النهاية بمثل تلك السرعه الخاطفه . . وبعد ثلاث سنوات فقط . . كنت أتصور انى سأقضى بقية سنين العمر إلى جانبها . . فى عام ١٩٥٦ وأثناء الاعتداء الثلاثى على مصر حدث الأنفصال بيننا . . وكتبت الصحف وقتها كلاما كثيرا . . قالوا أن الغيره هى السبب . . وقالوا . . وقالوا . . لكن هل غيرة الزوج على زوجته جريمه ؟

أن غيرة الزوجه على زوجها . . أو غيرة الزوج على زوجته . . شىء طبيعى وعادى لا يستحق كل تلك الدهشه . . ولا أريد أن اخوض كثيرا فى الأسباب التى دفعتنا إلى الطلاق بعد زواج ثلاث سنوات . . فهذه امور تخص الزوجين وحدهما . . ومن حق كل انسان أن يحتفظ بتفاصيل حياته الخاصه . . المهم أن الطلاق قد حدث .

وظلت الصحف تكتب كثيرا عن حكاية طلاقنا ـ وكأنها لا تجد اى حكايات أخرى تتحدث عنها . . دون مراعاه لمشاعرى الخاصه وحالتى النفسيه . .

والحقيقة أن حالتى النفسية قد ساءت جدا بعد انفصالى عن شادية . . ولولا الصيد لكنت قد اصبت باخطر الأمراض . . هوايه الصيد كانت منقذى الوحيد . . صيد السمك يجعل الانسان ينسى همومه . . ويقضى على الشعور بالوحده . . الصياد دائما فى حالة أنتظار . . وهو فى حاجة بإستمرار إلى قدر كبير من التركيز الذهنى حتى لا يفلت الصيد فى لحظه شرود . . الذى يصطاد السمك يتعلم من البحر التامل . . والصبر . . بالأضافه إلى أن الهواء المتجدد ينعش روحه المعذبه خاصة اذا كان قد خرج من أزمة نفسيه غير عاديه .

وبعد انفصالى عن شاديه ركبت سيارتى وأتجهت إلى الأسكندريه . . والقيت بهمومى وأحزانى وسط ذلك البحر الذى ليس له نهايه . لقد افادنى الصيد كثيرا فى أزماتى العاطفيه وخاصة فى تلك الأيام التى اعقبت انفصالى عن شاديه .

والحقيقة أنى أخذت هذه الهواية . . هواية صيد السمك عن شاديه . . كانت قد ارتبطت بهذه الهواية منذ أن كانت طفلة صغيرة تعيش مع والدها فى انشاص . . وحول البيت الذى عاشوا فيه هناك كانت توجد الترع وتنتشر بكثره . . ومن هنا تولدت هذه الهوايه فى نفسها . . وعندما تزوجتها كانت تمارس هوايه صيد السمك . . وأصبحت اخرج معها لأشاركها هذه الهوايه لدرجة أنى أصبحت مرتبطا بها أكثر منها . .

والغريب أن تعلقها بتلك الهوايه بدأ يتضاءل فى نفس الوقت الذى بدأ فيه تعلقى بصيد السمك يزداد حتى أصبح هوايتى الأولى المفضله . . هى تنساها . . وأنا أعتبرهما خلاصى . . هى التى علمتنى فن الصبر . . فن صيد السمك .

لكن يجب أن أقول الحقيقة . . شاديه لم تكن أبدا ماديه . . ليست من اللاتى يجرين وراء الماديات . . المشاعر الانسانية الصادقة أهم عندها من كل شىء . . شادية إنسانة خجولة . . لكن تنقصها الجرأة . . وهذا ما يسبب لها أحيانا بعض المتاعب . . شاديه انسانه يحبها من يعرفها . . صوتها هادىء . . رقيقة بطبعها . . تلك هى الحقيقه التى لا أستطيع إخفاءها او إنكارها . .

لقد أفترقنا لكنى لا أحمل لها اى حقد أو ضغينه . . بل أحتفظ لها بكل التقدير . .

توقف قطار ما بعد منتصف العمر فى محطة الفراق . . واطلق صفارة الوداع . . وأندفعت طيور الفرح مذعورة مهاجرة إلى أرض الأحزان البعيدة . . بحثا عن النسيان . . لعلها تجد هناك السعادة المفقودة . . والأمل الضائع مع العمر الذى يسرع خطاه بغير تمهل أو انتظار . . واقولها صريحة . . لقد اكتشفت الحقيقة فى وقت متأخر . . كما يحدث دائما بعد فوات الأوان . . كان (أولاد الحرام) وراء انفصالنا . . سامحهم الله . .

ضابط الفرسان الرقيق

لكن الصيد لساعات طويله لم يكن الدواء القوى للشعور بالوحدة . . لم يكن التعويذه السحرية التى توصلنى لطريق النسيان . . كيف اقضى كل وقتى فى الصيد . . مع الأسماك ! الحل الوحيد هو الانهماك فى العمل . . الانشغال بأدوار وأفلام جديدة . . العمل الفنى متعه . . ونسيان ايضا للهموم الشخصية . .

حاولت أن أعود من جديد إلى عالمى الذى أجد نفسى فيه . . فى الأستديوهات . . والبلاتوهات أكاد أذوب فى الشخصيات التى أؤديها . . انفعل بحياتها . . وأعيش مواقفها . . فأنسى مؤقتا حياتى وهمومى الخاصة . . وأعود آخر الليل مرهقا لأنام ،

وأصحو فى الصباح التالى لأعيد الدورة من جديد . . لأدور من جديد فى دائرة النسيان . .

كانت عودتى إلى الاستديوهات ثقيلة فى بداية الأمر . . لكنى تماسكت . . لم تهزنى النظرات الشامته . . ولا الأبتسامات الصفراء الهازئه . .

لم أتأثر بكلمات الحاقدين الشامتين . . ومضيت متفانيا فى أداء أدوارى الجديدة التى بدأت تأخذ طابعا جديدا مختلفا . . لقد ظللت (**الفتى الأول**) لفترة طويله ـ أمام فاتن حمامه . . ومديحه يسرى . . وشاديه . . وبقية ممثلات السينما المعروفات . . فتى أول من نوع مختلف . . فتى أول فى الأربعين . . فيه وقار الكبار . . لا يعتمد على صغر سنه وجمال ملامحه . . أذكر مثلا دورى فى فيلم « **بين الأطلال** » الذى أخرجه عز الدين ذو الفقار وشاركتنى فى بطولته فاتن حمامة . . وهو من الأفلام التى حققت نجاحا خرافيا . . ولم يقل أحد أن الدور لم يكن مناسبا لى ـ لأن الشخصيه تمر بمراحل مختلفة بطريقة مقنعة . .

وأثناء تصوير ذلك الفيلم توثقت علاقتى بالضابطين السابقين (**عز الدين ذو الفقار**) و (**يوسف السباعى**) . . وإذا كنت قد أكتشفت رقة وإنسانية ضابط المدفعية السابق عز الدين ذو الفقار من خلال تعاملى معه فى أكثر من فيلم . . فقد أكتشفت أيضا تلك الرقه المتناهيه فى ضابط الفرسان الأديب يوسف السباعى . . لم أكن قد التقيت به من قبل وأذكر ذات يوم وبينما كنا نستعد للبدء فى تصوير فيلم (**إنى راحلة**) . . دق التليفون . . ورفعت السماعه . . وسمعت صوتا مهذبا عطوفا . . حاولت أن أميزه . . لكنه كان صوتا غير مألوف بالنسبة لى . .

— أزى الصحه ؟

— الحمد لله .

— أنا يوسف السباعى .

— أهلا وسهلا . . فرصه سعيدة

قال : أنا سعيد لانك أنت بالذات اللى حتمثل دور البطولة مع الفنانة مديحة يسرى . . أختيار سليم فعلا .

قلت : الأختيار السليم هو اختيار المخرج للرواية الجيدة التى كتبتها .

قال : أيه رأيك نتقابل ؟

قلت : بعد التصوير .

قال : لا . . قبل التصوير والأفضل أن نلتقى اليوم . . عايز أتكلم معاك عن شخصيات روايه (إنى راحله) . . خصوصا الشخصيه اللى حتمثلها أنت بالذات . .

ضرورى أشوفك .

ولا أنكر أنى شعرت بالدهشة . . فلم يكن مألوفا فى ذلك الحين أن يطلب مؤلف القصة بطل الفيلم ليتحدث معه عن دوره فى الفيلم قبل البدء فى التصوير . . وليحدثه عن أدق تفاصيل الشخصية التى سيقدمها على الشاشة .

وذهبت الى الأستاذ (**يوسف السباعى**) الذى أستقبلنى بمودة وبحفاوة . . وأبتسامة عذبه . . وظل يحدثنى عن شخصية البطل كما يتصورها . تكلم عن أدق التفاصيل . . وطال النقاش وهو يشرح ويوضح ويعلق . . وأكتشفت فيه رقته الشديده . . وأدبه الجم . . وذوقه العالى . . وأكتشفت أيضا بساطته . . وطيبة قلبه . .

وتكرر نفس الموقف عندما بدأنا نستعد لتصوير فيلم (**بين الأطلال**) . . نادانى فذهبت إليه . . وظل لساعات يحدثنى عن تصوره السينمائى لشخصية البطل التى سأؤديها . . وعن تفاصيل الروايه كلها . . وأثناء التصوير جاء إلى الأستديو أكثر من مره ليشاهدنا ونحن نقدم أعماله الأدبيه على الشاشه . . كان حريصا على عمله . . ليس هدفه فقط أن يوقع العقد . . ولا يهمه فقط أن تظهر روايته على الشاشه . . بل كان يهمه أولا أن تظهر على الشاشه بالصورة اللائقة التى يتمناها . . والحقيقة أنه كان لطيفا فى أبدائه للاحظاته . . حتى عندما كانت له بعض الانتقادات . . كان يقدمها هامسا كما يفعل المهذبون . . وكدت الا أصدق أنه كان ضابطا فى سلاح الفرسان . . فالضباط عادة بحكم حياتهم العسكرية يكونون جادين أكثر من اللازم إلى حد الغلظة . . لكن يوسف السباعى أخذ من الأديب الفنان رقته . . وأدبه . . وأنسانيته . . كان يوسف السباعى رجلا رقيقا . . وأديبا كبيرا . . كان يشعر نحوى بالأرتياح . . وأنا أيضا كنت أبادله نفس شعور الارتياح .

المهم أن فيلم (**بين الأطلال**) حقق نجاحا كاسحا . . ولا أنسى أبدا تلك الليلة التى ذهب فيها إبنى (**نادر**) إلى دار سينما ديانا ليشاهد الفيلم الذى أظهر فى مشهده الأخير وأنا أحتضر وأموت . . وفجأه . . ووسط الصمت المخيم على دار السينما من شدة التأثر . . سمع الجمهور صوتا يصرخ :

— لا . . لا . . بابا ماماتش . . بابا عايش . . ماماتش . . كان أبنى نادر هو الذى يصرخ . . رأى والده يموت على الشاشه . . فظنها الحقيقة بحكم صغر سنه . . وحاول الحاضرون أن يهدئوا من روعه . . وأن يفهموه بأن ما يراه على الشاشه ليس الا تمثيلا . . لكنه لم يصدق . . ولم يتوقف عن البكاء . . الا عندما رأنى عائدا إلى البيت . . فصرخ من الفرح . . وراح يقبلنى . . ودموع الفرح تسيل على خديه .

وضاع منى الكلام

لم أعد شابا كما كنت . . الشعرات البيضاء تسللت إلى رأسى . . التجاعيد أصبحت واضحه فوق وجهى . . لكن المخرجين لم يقتنعوا بذلك . . وظلوا يصرون على ترشيحى لأدوار الرجل العاشق الذى تهواه النساء . . وكان لابد أن أقول (ستوب) . . لقد مضى زمن الفتى الأول . . لا أريد أن اؤدى بعد الآن أدوار الفتى الأول على الشاشه .

كنت استطيع ان اذهب للخارج لأعمل عمليه (شد وجه) فى انجلترا بالذات حيث يتم هناك ببراعة اخفاء تجاعيد الوجه وبصمات الزمن الواضحه . .

كنت استطيع أن أخفى شعرى الأبيض بصبغه سوداء لن تكلفنى أكثر من بضعة قروش . . ولكن ما قيمة ذلك كله ؟

ولماذا نقف ضد حركة الطبيعه ومنطق الأشياء ؟

من الصعب ان تعترف المراه بأنها قد دخلت مرحلة الشيخوخه . . والنساء لهن أعذارهن المقبوله . . ولكن لماذا يفعل الرجل ذلك ؟ وماهى أعذاره ؟

مادعنى أن يخفى الرجل حقيقة عمره ؟ ولماذا يتوارى خلف الأصباغ التى لن تنجح فى خداع الآخرين ؟

ماذا سيقول عنى الجمهور الذى ظل يرانى على الشاشه ما يقرب من عشرين عاما ؟ ماذا سيقول عنى وهو يرانى متمسكا بأدوار الفتى الأول التى لم تعد تناسبنى ؟ بالطبع سيسخر الجميع منى . . فلماذا أجعل نفسى أضحوكه فى اعينهم ؟ لماذا أبدو متصابيا ؟

الناس لن يصدقونى فى تلك الحالة . . وعندما لا يصدق الناس ممثلا . . فتلك هى نهايته . . شعرت بأن أحاسيسى ستكون مزيفه . . مصبوغه مثل شعرى . . ومشدوده مثل جلد الوجه . . لا . . لا . . لن اصبغ شعرى . . ولن أشد جلد وجهى . . سأبقى كما أنا . . بدون ادخال أى تحسينات أو تعديلات .

إلى متى سأظل اقول للبطله (شايفه القمر ياليلى) ؟

ليس معنى ذلك أنى أخجل من أدوارى التى اديتها فى تلك المرحله . . بالعكس فأنا اعتز بدورى فى فيلم (أقوى من الحب) وأدوارى فى (شاطىء الذكريات) و (ليله من عمرى) و (أنى راحله) و (بين الأطلال) . . وكيف أنسى فيلم (**موعد مع الحياه**) . . كيف انسى الموقف العجيب الذى تعرضت له أثناء تصويره ؟

كان البعض يتصور انى سكير كبير . . بل وتمادوا فى تخيلاتهم وتصوروا أنى من مدمنى المخدرات أيضا . . قد يكون السبب أنى ظهرت كسكير فى بعض افلامى . . لكن ذلك ليس صحيحا تماما . . فليس شرطا ان يكون الممثل (حشاشا) حتى يستطيع أن

يعبر عن أنفعالات شخص يدخن الحشيش . . ولا أنكر أنى أتناول بعض المشروبات الكحوليه ولكن ليس للدرجه التى تفقدنى وعيى . .

حدث مثلا ذات مره ان رشحنى المخرج عز الدين ذو الفقار لأداء دور امام فاتن حمامه فى فيلم (موعد مع السعادة) . . وكان المفروض ان ابدو سكيرا فى بعض مشاهد الفيلم . . ولم اكن سكيرا فى الواقع . . بل كانت المرة الأولى التى ساؤدى فيها دور السكير الذى يفقد وعيه تماما . . وينسى كل تصرفاته . .

وفكرت أن أجرب بنفسى . . أن اتناول الشراب حتى احس بنفس أحاسيس (السكران) . . وحتى أؤدى دور السكير على الوجه الأكمل . . وبالفعل أحضرت زجاجه ويسكى . . وظللت أشرب . . واشرب . . وتصورت أنى قد اصبحت فى (الفورمه) . . وانى بهذه الطريقة ساعرف كيف أؤدى دور السكير بافضل صوره . . ساعرف كيف اندمج فى الدور اندماجا كاملا . . وكانت افلام عز الدين ذو الفقار مشهورة بالديالوجات الطويلة . . فجمل الحوار فيها ليست قصيره سريعه . . بل معظم المشاهد طويله .

المهم أن وقت التصوير كان قد حان . . وأنا فى غاية الأندماج . . ليس فى التمثيل . . ولكن فى تناول الويسكى . . ووقفت أمام الكاميرا . . وكان المفروض أن أقول الحوار الذى كان مكتوبا فى ثلاث صفحات . . ولم اتذكر كلمه واحده . . حاولت أن استرجع ما قرأته وحفظته . . ولكن بلا جدوى . . ضاع الكلام من ذهنى ـ وأصبح لسانى ثقيلا بطيئا فى حركته . . وحاولت أن أندمج . . ولكن بلا فائده . وتطلع نحوى المخرج عز الدين ذو الفقار مندهشا وقال لى :

— انت شارب ؟

قلت : أيوه .

قال : ليه ؟

قلت : علشان أندمج فى الدور .

وقال عز الدين ذو الفقار

— وعايز تمثل ؟ قوم . . قوم روح على البيت . . بكره تجيلى فايق . .

وخرجت من الأستديو وانا غارق فى خجلى وعرقى . . كان منظرى يدعو للرثاء . . وكان درسا لا أنساه أبدا . !

حكاية الزوجة رقم ٣ . .

● إختارنى المخرج حسن الأمام للمشاركة فى بطولة فيلم « زوجة من الشارع » الذى كان مفروضا أن يتم تصويره فى بلدة « أجا » . . وتحمست أكثر للفيلم بعد ان عرفت أن هدى سلطان وكمال الشناوى سيشاركاننى فى العمل والبطولة فى الفيلم . . عملت من قبل مع كمال الشناوى وأعرف حبه لفنه ورغبته المخلصة فى تقديم الجديد المتطور . . وهدى سلطان ممثلة ومطربة لها فى نفسى قدر كبير من الاحترام . .

وقالوا أيضا أن هناك ممثلة جديدة إسمها « نادية الجندى » ستظهر فى الفيلم . .

لم أكن قد سمعت باسمها من قبل . . أننى دائما مع اتاحة الفرص للوجوه الجديدة . . لكن دون انكار خبرات الأجيال السابقة من الممثلين والممثلات . .

ورأيت نادية الجندى لأول مرة فى بلدة (أجا) . .

لاحظت أنها شابة . . وجميلة . . وشديدة الحيوية . . ومن خلال العمل أمام الكاميرا . . والظهور فى مشاهد مشتركة . . كان لابد أن يكون بيننا حوار . . وتعليقات . . وكأى ممثلة جديدة . . فأنها كانت بحاجة الى توجيهات وارشادات من سبقوها فى ذلك المجال . . وأنا بطبعى لا أبخل أبدا بالتوجيهات المخلصة . . ودائما أقدمها للممثلين الجدد الذين يعملون معى . . وكان طبيعيا أن أقدم تلك التوجيهات للممثلة الجديدة نادية الجندى . .

وفى فترات الاستراحة ما بين التصوير بدأت أفكر بعمق فى حياتى المجدبة . . الموحشة . . التى أصبحت مثل صحراء قاحلة . . ليس فيها غير كثبان الرمال . . لا خضرة . . لا ماء . . لا حياه . . والظمأ يكاد يقتلنى . . والشعور الحاد بالوحدة يلاحقنى . .

إنشغل بحياة الأستديوهات فى النهار . . ولكنى عندما يأتى الليل الموحش . . أشعر

بالاكتئاب ـ فليس حولى من يحادثنى . . من يسمعنى . . من يرد على تساؤلاتى . . من يسمع ندائى . . ماذا يفعل رجل وحيد لو داهمه المرض فجأة ؟

ست سنوات عشتها وحدى بعد انفصالى عن شادية . . أصبحت أشعر أكثر من أى وقت مضى بحاجتى إلى شريكة وأنيسة تبدد وحشة البيت والليل . . وتعيد إلى حياتى المجدبة شيئا من الحياة . .

بعد الأربعين تشتد حاجة الانسان الى شريكة لحياته . . لمن تؤنس أيامه ولياليه . . وتخفف عنه وحدته . . وهمومه . .

ولكن لماذا تنتابنى كل تلك الهواجس بعد ان رايت الممثلة الجديدة نادية الجندى ؟

هل . . **نعم . . بدأت اتخيلها شريكة لحياتى** . . ؟ والغريب أنى لم افكر كثيرا فى احتمال عدم حدوث تقارب بسبب فارق العمر . . العواطف الجارفة تحجب العقل . . تمنعه حتى من التفكير السليم . .

لكن هكذا كانت بداية قصة « الزواج الثالث » . . مع إنتهاء فيلم « **زوجة من الشارع** » . . عدت الى بيتى بزوجة . . وبعد عام من الزواج أنجبت نادية إبننا « **هشام** » . .

دعوة الى خان الخليلى

دق التليفون . . وسمعت الاستاذ سيد بدير وهو يدعونى للقائه فى مكتبه الجديد الذى انتقل اليه مؤخرا بعد أن أصبح مديرا لمسارح التليفزيون . . ذلك المشروع الفنى الكبير الذى لا تكف الصحف عن الحديث عنه . . منذ فترة بعيدة لم أسمع صوته . . العمل المتواصل يحرم المرء من متعة اللقاء مع الاصدقاء الأعزاء . .

ان علاقتى بالاستاذ سيد بدير قديمة جدا . . منذ أن كنت هاويا بفرقة أنصار التمثيل والسينما التى كان هو أحد المسئولين عنها .

فى الموعد المحدد للقاء كنت أجلس أمام الاستاذ سيد بدير الذى بادرنى قائلا :

— ما رايك لو نتعاون معا .

— باى شىء ؟

— بالتمثيل طبعا .

قلت ـ انت تعرف مدى حبى للمسرح . .

قال ـ اذن فانت موافق .

قلت ـ ليس لدى اى مانع .

وعملت فى ثلاث مسرحيات ـ الأولى (**خان الخليلى**) التى أخرجها حسين كمال ، والثانية (**خطيئة حواء**) وأخرجها جلال الشرقاوى ، والثالثة (**الرجل والطريق**) وأخرجها محمود الشريف . .

وكنت سعيدا بهذه التجربة التى أعادت لعقلى كل الذكريات الرائعة القديمة ، وملأت نفسى بحماس الشباب . . لقد ذكرتنى ببداياتى وخطواتى الأولى على خشبة المسرح . . كان حلمى الكبير أن أشارك فى بطولة أحدى المسرحيات ، وأن أحقق نجاحا مسرحيا كبيرا . . وتشاء الظروف أن تتحقق لى هذه الأمنية . . ولكن بعد سنوات طويلة . . بعد أن أصبحت نجما سينمائيا .

ورغم أنى لم أواصل العمل مع فرق التليفزيون المسرحية لعدم تمكنى من السفر لعرض هذه المسرحيات أمام جمهور المحافظات البعيدة ، بسبب انشغالى وارتباطى بعقود وأدوار وأفلام سينمائية جديدة ، إلا أن علاقتى بالمسرح لم تنته عند هذا الحد ـ بل تجددت مرة أخرى عندما بدأت أعمل على مسارح هيئة المسرح التى يسمونها مسارح القطاع العام . لكن الظروف التى واجهتنى بعد ذلك جعلتنى أبتعد عن المسرح رغم حبى الشديد له . .

حدث مثلا أن رشحنى المخرج **كمال ياسين** لدور البطولة فى مسرحية للاستاذ **توفيق الحكيم** أسمها (شاهين ما مات) . . ولم اتردد لحظة واحدة فى قبول الدور . . فالنص جيد . . والشخصية التى سأؤديها من الشخصيات تمتع وتشبع الممثل . .

وبدأنا البروفات . . وكان يشاركنى فى بطولة المسرحية **سميرة محسن وحسن عابدين** . . **ومجموعة أخرى من الممثلين الجيدين** .

وفوجئت ان الوقت المحدد لعرض المسرحية هو شهر مايو . . شهر انشغال كل البيوت بالامتحانات . . فكل طالب مشغول بالاستعداد للامتحانات . . وكل أسرة مشغولة بالطبع بأبنائها الذين تحرص على نجاحهم بل وتفوقهم . فأى طالب ذلك الذى سيشغل نفسه بمشاهدة إحدى المسرحيات مهما كانت جيدة ورائعة ـ خاصة قبل بدء الامتحانات بأيام قليلة ؟

وأى أسرة تلك التى ستترك ابنها فى تلك الظروف العصيبة وتذهب لقضاء ليلة ممتعة . . تاركة أياه وحده مع قلقه ومخاوفه ؟

وحدث ما توقعته . . فذات ليلة وجدت فى صالة المسرح عشرة متفرجين فقط . . مفاجاة غير سارة لأى ممثل . . هذه هى نتائج التوقيت الخاطىء لعرض مسرحية جديدة فى شهر مايو . . شهر الامتحانات . . وفى تلك الليلة قررت الا اتعامل مرة اخرى مع فرق القطاع العام .

لكن حنينى للمسرح عاودنى مرة أخرى . . وأمام أصرارى على عدم التعامل مع فرق هيئة المسرح - لم يكن امامى سوى فرق القطاع الخاص . .

ووافقت على الاشتراك فى بطولة مسرحية اسمها (**كله عاوز من كله**) . . وعندما بدأ عرض المسرحية فى الأسكندرية - كانت أمواج البحر تغطى على كل شىء . . فالمسرح الذى نقدم فيه المسرحية قريب جدا من الشاطىء لدرجة أن أصواتنا كانت تضيع وسط أحداث هدير أمواج البحر . . بل وصل الأمر الى حد أن الممثلين أنفسهم لم يتمكنوا من سماع بعضهم البعض على خشبة المسرح . يضاف الى ذلك مستوى المسرحية الفنى الذى لم يكن لائقا بى أن أقبله .

بالأضافة كذلك الى متاعب السفر . . فكان لابد أن أعود كل يوم الى القاهرة بسبب ارتباطات قديمة بالعمل فى بعض الأفلام السينمائية . فى الليل أمثل فى الاسكندرية . . وعند منتصف الليل أبدأ رحلة العودة الى القاهرة لكى أشترك فى تمثيل الفيلم الذى كنت مرتبطا به . . ثم أعود فى المساء الى الاسكندرية . . وهكذا . . ولم أكن أعرف النوم إلا فى القطار . . لكن حتى النوم داخل القطار كان نوما قلقا مرهقا . . فبمجرد أن أغمض عينى وأغفو قليلا حتى أسمع صوت المفتش (تذاكر . . تذاكر ياحضرة) . . ثم يأتى مفتش آخر . . لدرجة أنى فكرت فى تعليق لافتة فوق صدرى مكتوب عليها (والله العظيم معايا تذكرة) .

لا أحد يمكن ان يقدر ظروف الفنان فى تلك اللحظات . . واذكر أنى وصلت الى محطة سيدى جابر ذات مرة . . قبل رفع ستار المسرح بدقائق قليلة . . وكان من الصعب أن أعثر على تاكسى . . حاولت أن استعطف اى سائق تاكسى . . ولكن بلا جدوى . . الوقت يمر . . والستار يوشك ان يرفع . . والتاكسيات كلها مشغولة ولا تريد أن تتوقف او حتى تتمهل قليلا . . ماذا افعل ؟ وجدت سيارة اتوبيس مزدحمة بالركاب . . فاندفعت اجرى نحوها . . وتعلقت بباب الاتوبيس . . وعرفنى الكمسارى فصاح قائلا :

— استاذ عماد . . مش معقول ؟

قلت - اعمل ايه . . ورايا مسرح . . فى الشاطبى .

لكن الكمسارى قال معتذرا . .

— احنا مش رايحين الشاطبى . . رايحين الورديان . .

قلت - اما متاسف . . ماكنتش اعرف .

وبدأت أتهيأ للنزول فى أول محطة . . ويبدو أن الكمسارى الطيب قد ترفق بحالى . . فأراد أن يقدم لى خدمة انسانية . . لمحت فى عينيه تعاطفه معى . . فقلت له :

— أنا في عرضك . . عايز أوصل المسرح بأي صورة . . بأسرع ما يمكن . .

وذهب الكمسارى نحو السائق . . وهمس في أذنه ببضع كلمات . . ونظر السائق نحوى . . ثم هز رأسه . . ووجدت الأتوبيس يغير اتجاهه . . ويسير في أتجاه آخر وبدأ السائق يزيد من سرعة الأتوبيس . . ونظر الركاب الى بعضهم البعض مندهشين . . وتعالت التعليقات المستنكرة . . (على فين يا أسطى) . . (الطريق مش من هنا) . . (ماشى على كيفه) . . وشعرت بالحرج الشديد . . الحمد لله أن الركاب لم يعرفونى جيدا . . لم يفهموا أني السبب في ذلك التغيير المفاجىء لخط سير الأتوبيس . . وأخيرا وجدت نفسى بالقرب من المسرح . .

واندفعت أجرى . . ونسيت أن أشكر ذلك الكمسارى الطيب الذى قدم لى خدمة انسانسة لن أنساها أبدا .

وإذا كنت لم أنس كمسارى الاسكندرية الطيب . . فأننى لا أنسى أيضا ذلك الرجل الذى أهاننى أهانة بالغة لن أنساها أبدا ..

الانسان بطبعه لا ينسى من مدوا له يد العون . . من وقفوا الى جانبه في لحظات الشدة وأيام العذاب . . ولا ينسى أيضا من حاولوا إذلاله . . من تعمدوا أهانته .

كانت صناعة السينما قد بدات تمر بظروف صعبة قبل نهاية الستينات . . أغلقت الاستديوهات أبوابها . . وأطفأت أضواءها . . وأصبح معظم الفنانين في حالة أنتظار لعقود العمل التى لا تجيء أبدا ..

أكبر الفنانين عرفوا البطالة . . طاقات فنية نادرة أصبحت معطلة في أحد تلك الأيام . . أيام الكساد السينمائى ـ شاءت الصدفة ان أصدم بسيارتي ـ دون قصد طبعا ـ سيارة أخرى . . لم تكن نتائج التصادم فادحة . . لكن صاحب السيارة رفض التفاهم . . واصر على اتخاذ الاجراءات الرسمية التى تتبع عادة في مثل تلك الأحوال . . وحكمت له المحكمة بمبلغ اربعمائة جنيه . . ولم يكن في جيبى ولا في بيتى ذلك المبلغ . . ورغم ذلك تمسك صاحب السيارة بموقفه المتشدد . . ظل يرفض التفاهم حتى على طريقة تسديد الغرامة . . كان يريد المبلغ كاملا . . وباسرع ما يكن . . وإلا فانه سيوقع الحجز على بيتى . . لم يكن يمزح . . بل كان جادا جدا . . وصارما جدا . . الى حد القسوة غير الانسانية .

قلت له ـ الا يمكن الانتظار قليلا ؟

قال ـ لا

قلت ـ امهلنى فرصة .

قال ـ لن انتظر أكثر من ذلك

قلت ـ ظروف المادية لا تسمح الآن بدفع المبلغ

قال ـ إذن سينفذ حكم المحكمة بالحجز على بيتك .

وحكيت له حكاية تصادم سابقة مع سيارة شخص غير مصرى . . وقلت له ـ لقد كان هذا الشخص كريما جدا معى . . فعندما أكتشف شخصيتى تنازل بلطف عن مطالبه . . ورفض أن يأخذ منى أى تعويض . . (الأجنبى) فعل ذلك . . وأنت أيها (المصرى) لا تريد أن تقدر ظروف . . لكن قلبه لم يلن . . ولم يتأثر لحظة واحدة .

وقلت فى محاولة أخيرة لانهاء الموقف . .

— (ليست معى الآن أية مبالغ نقدية . . البيت فيه أشياء كثيرة . . خد ما يساوى قيمة أربعمائة جنيه . . وعرضت عليه راديو . . وكاسيت . . وبعض التحف . . لكنه قال بطريقة أذهلتنى وحيرتنى .

— أنا عايز بدلك .

تصورت أنى لم أسمع جيدا . . فعدت أستوضح

— عايز ايه ؟

قال ـ البدل

قلت ـ مستحيل . . حتعمل ايه ببدلى ؟

قال ـ مش عايز غير البدل بتاعتك

قلت ـ خد اى شىء تانى . . امامك تحف ثمينة . . اختار منها قيمة المبلغ . .

لكنه قال باصرار يدعو للدهشة :

— مش حاخرج من هنا بدون البدل . . وإلا حاخليهم ينفذوا الحجز على البيت . . يا البدل بتاعتك . . يا الحجز .

وبطريقة السينما فى استرجاع الماضى (الفلاش باك) تذكرت أيام الرخاء والثراء فى حياتى . . تذكرت الخمسينات . . وأسطبل الخيول الذى كنت اقتنى فيه ٣٥ جوادا من أفضل خيول السباق . .

استعادت ذاكرتى الأيام التى كنت أتعامل فيها مع الكبار (فرغلى باشا) و (عبود باشا) . . لم يكن المال هدفا . . بل كان مجرد وسيلة للحياة . . ولكن بعد أن انحسر الاهتمام بهواية (سباق الخيل) . . بدأت افقد اهتمامى بتربية الخيول . . حتى مدرب الخيول ـ وهو يهودى من مواليد بولاق ـ كان يمتلك حصانا واحدا عندما بدأ الاشراف على تدريب الخيول التى كنت أمتلكها . . لكنه أصبح يمتلك اسطبلا مليئا بالخيول . . خيوله هو . . فى الوقت الذى كنت أبيع أنا فيه خيولى . . هكذا الحياة . . وكان ذلك المدرب اليهودى يستوقفنى دائما فى الشوارع ثم يشير نحو حصان يجر عربة

(حنطور) . . أو يجر بعض الأحمال الثقيلة .

— أنظر يا أستاذ عماد . . ألا تتذكر ذلك الحصان ؟

أقول ـ لا طبعا .

فيقول ـ أنه حصانك . . كان عندنا فى الأسطبل قبل ما تبيعه .

وانظر الى الحصان الذى يجرى مرهقا متعبا . . والحوذى يلاحقه بالسوط الذى يهوى على جسده الضعيف . . فأشعر وكان السوط يهوى على جسدى انا . . كأن الضربة موجهة الى قلبى . . ما اشبهنى بذلك الحصان . . كان مثلى يعيش فى رخاء وثراء . . ثم اصبح فجاة يتلقى ضربات السياط . . وأصبحت أنا اتلقى تلك الاهانة من صاحب السيارة الذى يتعمد إذلالى . . ويطلب ملابسى !

كان مثلى ذلك الحصان ـ لا يشكو الحاجة أو الحرمان . . فأصبح هزيل الجسد من قلة الطعام . . وأصبحت أنا قليل الابتسام من قلة المال . . وانعدام الانسانية !

وقابلت شعراوى جمعة

ذات يوم زارنى صديق قادم من بيروت . . قال لى :

— يا أستاذ عماد . . عايزك تسافر معايا بعد يومين . . لأننا محتاجينك فى فيلم لبنانى .

كان السفر للخارج صعبا فى ذلك الوقت . . ويحتاج الى قرارات . . واستثناءات . . واجراءات معقدة . . ماذا افعل ؟

هل أبقى هكذا بدون عمل ؟ النشاط الفنى حياة الفنان . . بدون أدوار وأفلام . . بدون فن . . تصبح حياته بلا معنى . كيف يكون التصرف ؟

أنهم يريدوننى فى لبنان . . وأنا هنا بدون عمل . . وغير قادر حتى على السفر . . والصديق اللبنانى ينتظرنى . . ويريد أن يسافر بعد يومين . . وخطرت فى ذهنى فكرة . . لماذا لا اذهب لمقابلة شعراوى جمعة وزير الداخلية . .

الوحيد فى ذلك الوقت القادر على منح تأشيرات السفر . .

وشجعنى أخى (رءوف) الذى كنت أعتبره دائما واحدا من انقى وأقدر ضباط الشرطة . .

قال لى رءوف :

— ماذا ستخسر ؟ لا شىء . . أطلب مقابلة وزير الداخلية . . وسنرى ما يحدث . .

وبالفعل . . فى الموعد المحدد . . كنت ادخل غرفة مكتب وزير الداخلية شعراوى جمعة . .

قلت ـ يا سيادة الوزير . . انا فى مشكلة . . جالى طلب للعمل فى فيلم لبنانى . . والسفر ممنوع . . ونحن هنا لا نعمل . . وظروفنا المادية صعبة . . أرجو أن تسمحوا لى بالسفر مع زوجتى . .

ولم يرد شعراوى جمعة . . ولم يعلق بكلمة واحدة . . كانت ملامح وجهه جامدة بلا تعبير . . غير تعبير الصرامة والعبوس . . قلت لنفسى ربما كان صمته نوعا من عدم الرضا والاقتناع . . وبهدوء شديد رفع شعراوى جمعة سماعة التليفون وحادث شخصا آخر . . أعتقد أنه سكرتيره الخاص .

لم يقل غير جملة واحدة . .

— عايز الاستاذ عماد وزوجته يسافر ودلوقت حالا .

كانت الساعة وقتها الحادية عشرة صباحا . . وصديقى اللبنانى مسافر فى اليوم التالى مباشرة . . وانا ليس عندى (جواز سفر) جاهز . . لكن المستحيل حدث . . وبأسرع مما أتصور . . جواز سفر لى . . وجواز سفر لزوجتى . . والتصريح بالسفر . .

كان كل شىء جاهز فى ساعات محدودة . .

وفى صباح اليوم التالى ٢٥ مايو ١٩٦٧ . . كنت وزوجتى نادية الجندى نجلس داخل الطائرة المتجهة الى لبنان . .

لكن فى بيروت . . كانت تنتظرنى أحداث اشد غرابة !



● (وداعا ياغرامى) مع فاتن حمامة .

● (الرباط المقدس) مع صباح . قصة توفيق الحكيم . اخراج محمود ذو الفقار .



● مع تحية كاريوكا فى دور المحامى .
● (المال والبنون) مع هدى سلطان . اخراج ابراهيم عمارة .

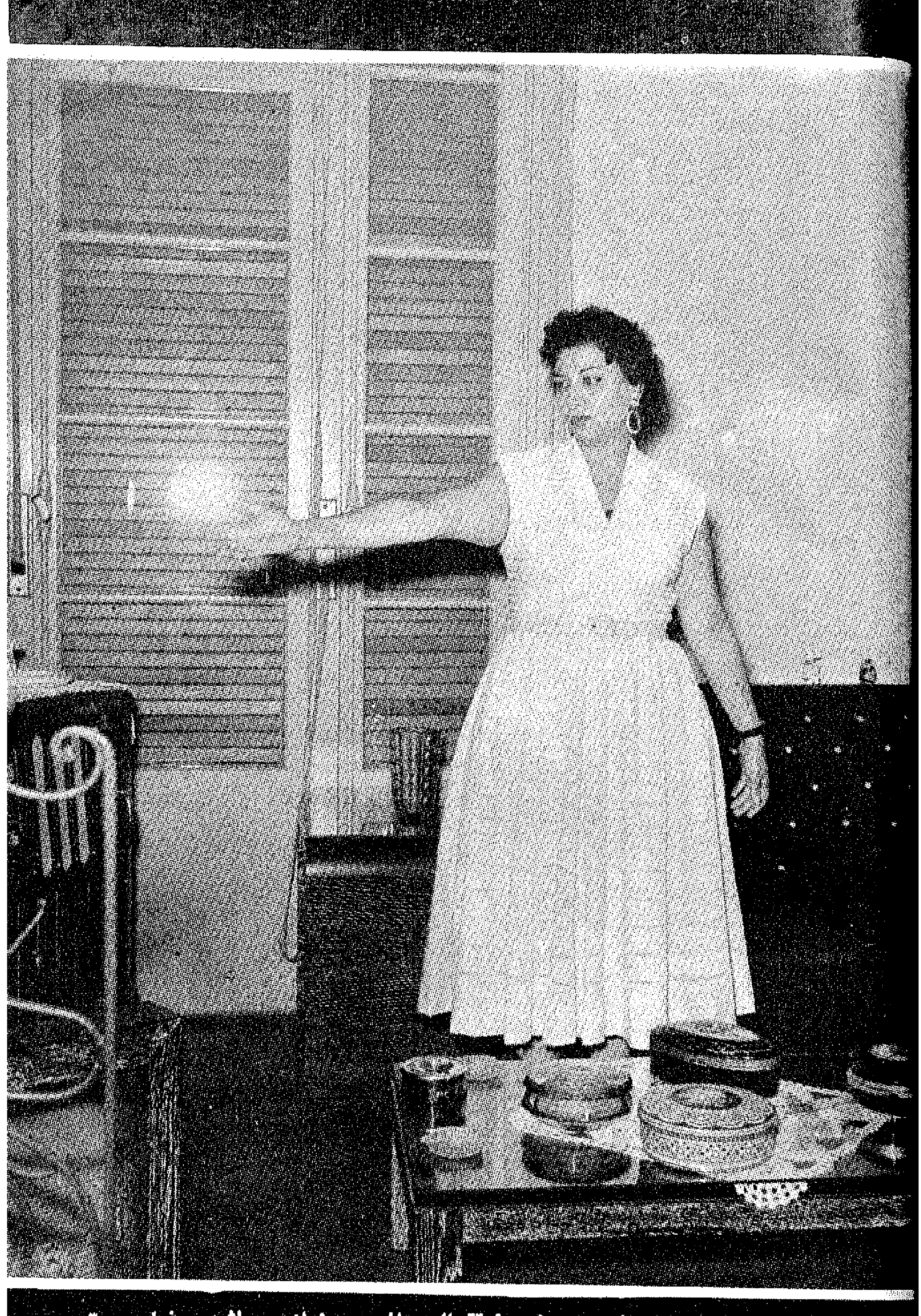


● المنزل رقم ١٣ مع فاتن حمامة اخراج كمال الشيخ .
● (وفاء إلى الابد) مع مديحة يسرى التى لعبت معه أهم الادوار .





● مع مديحة يسرى لحظة هبوطهما من الطائرة لحضور مهرجان كارلوفيفارى .



● الزوجة الأولى فتحية شريف .. عضو فرقة الريحانى . زمان . واشهر منولوجست

● فى قطار الرحمة . تعارف . ثم صداقة . ثم زواج



● أول لقاء داخل البلاتوه . . فى فيلم مع شادية . . بعد الطلاق . .



● اتفقا على الطلاق . . وكل منهما يحمل للآخر كل ود .



● (رحمة من السماء) مع هند رستم ومحمود المليجى .

● (ضحيت غرامى) مع مارى كوينى .

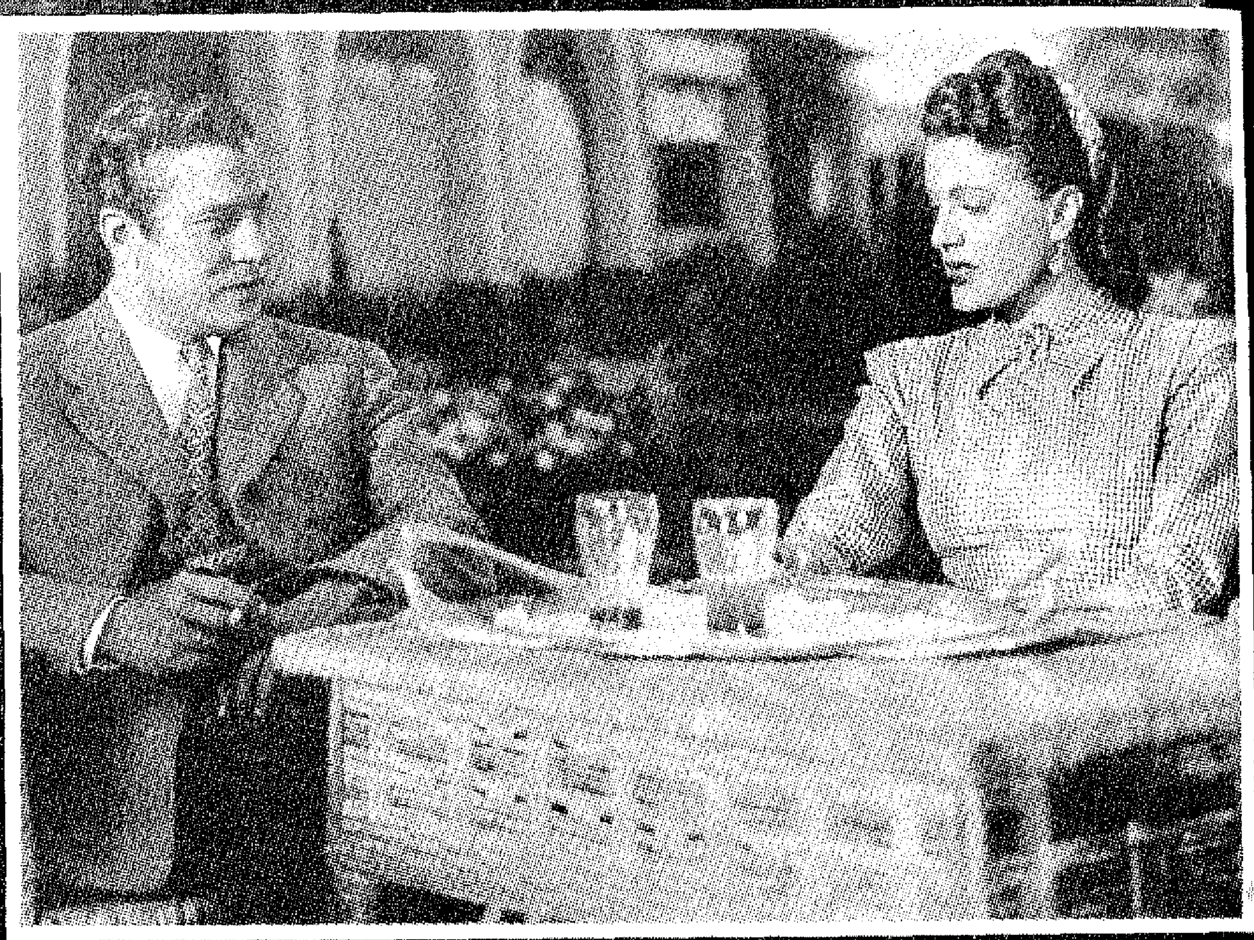
● (الله معنا) فى دور اليوزباشى احمد عن حرب فلسطين .



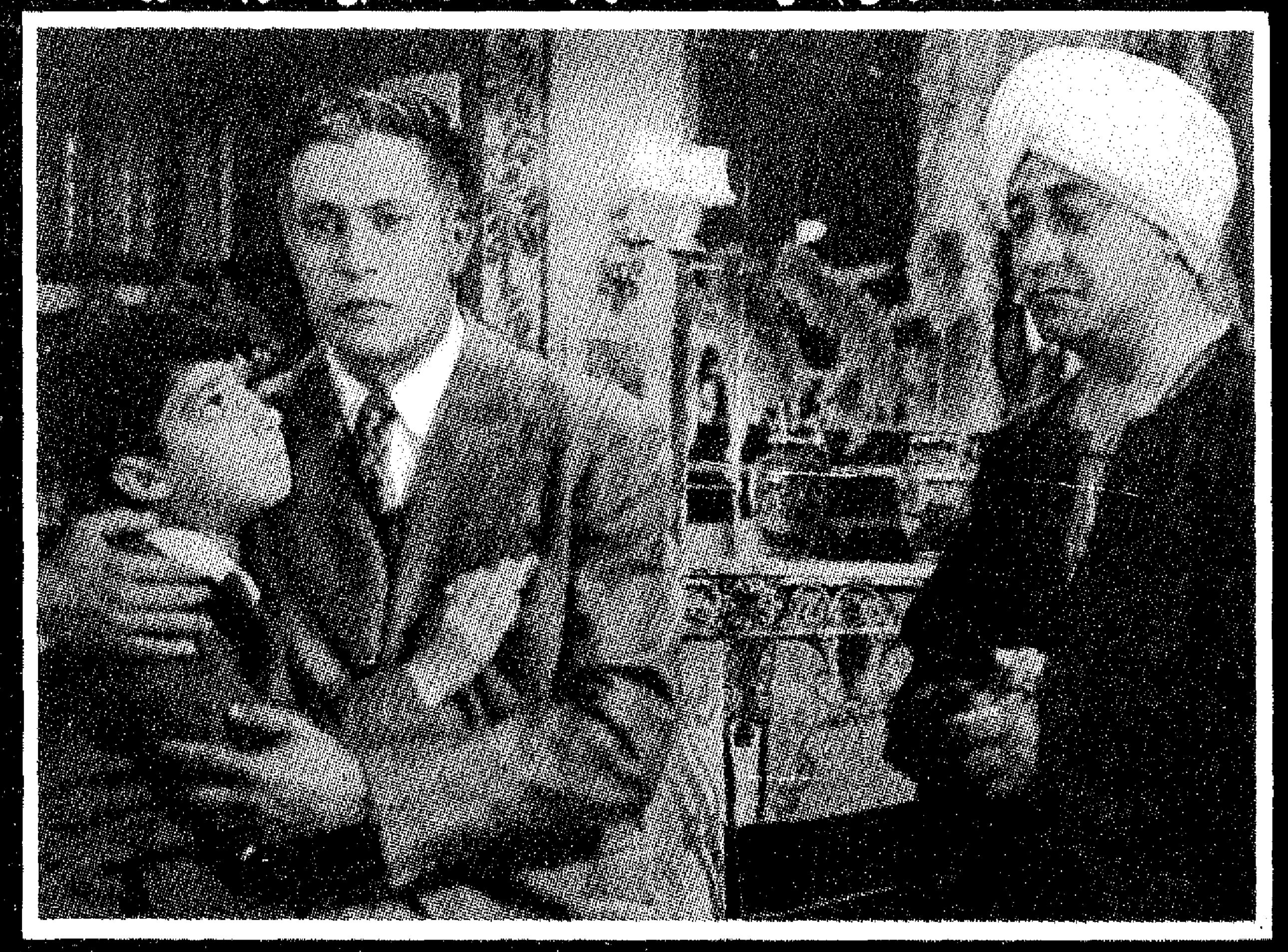




● مع النجمة العالمية ريتا هيوارت فى مهرجان برلين



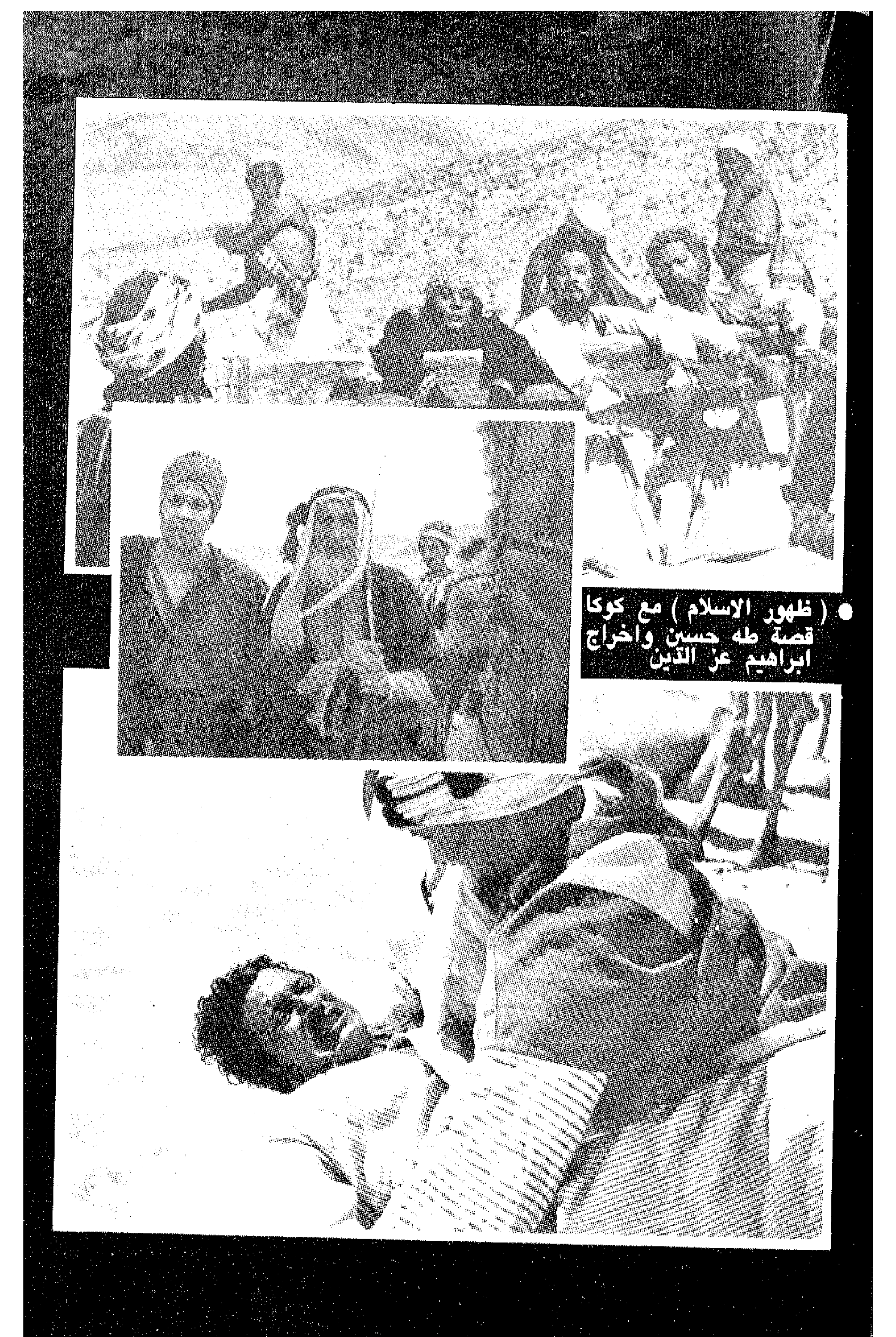
● (السجينة رقم ١٧) مع مارى كوينى .
● (ضحيت غرامى) مع الطفل نادر جلال الذى اصبح مخرجا معروفا .





● (رحمه من السماء) مع محمود المليجي . . واخراج عباس كامل .

● (لن ابكى ابدا) مع نجمة ابراهيم . . اخراج حسن الامام .



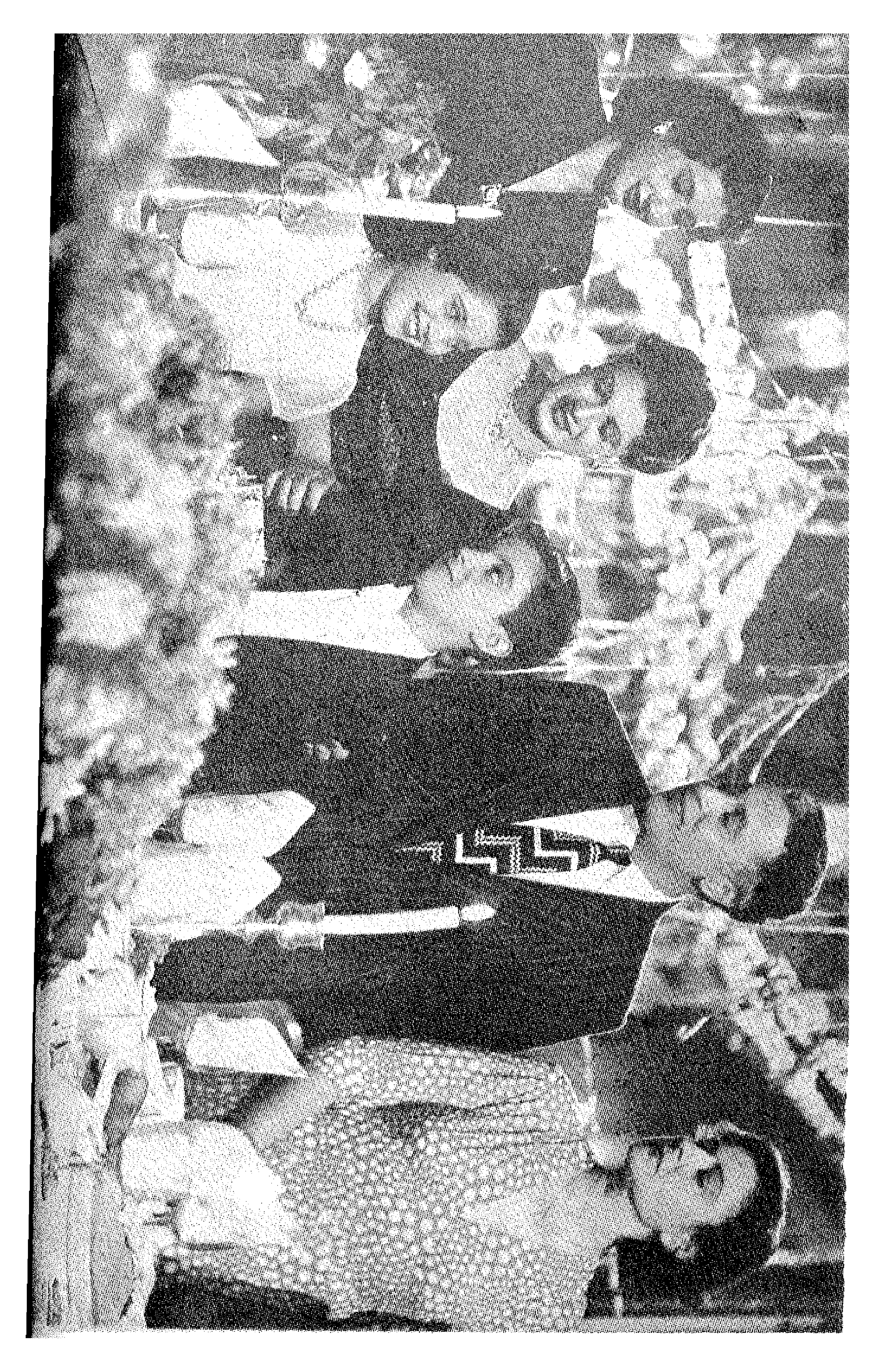
● (ظهور الاسلام) مع كوكا
قصة طه حسين واخراج
ابراهيم عز الدين



● (قطار الليل) مع سامية جمال اخراج عز الدين ذو الفقار .

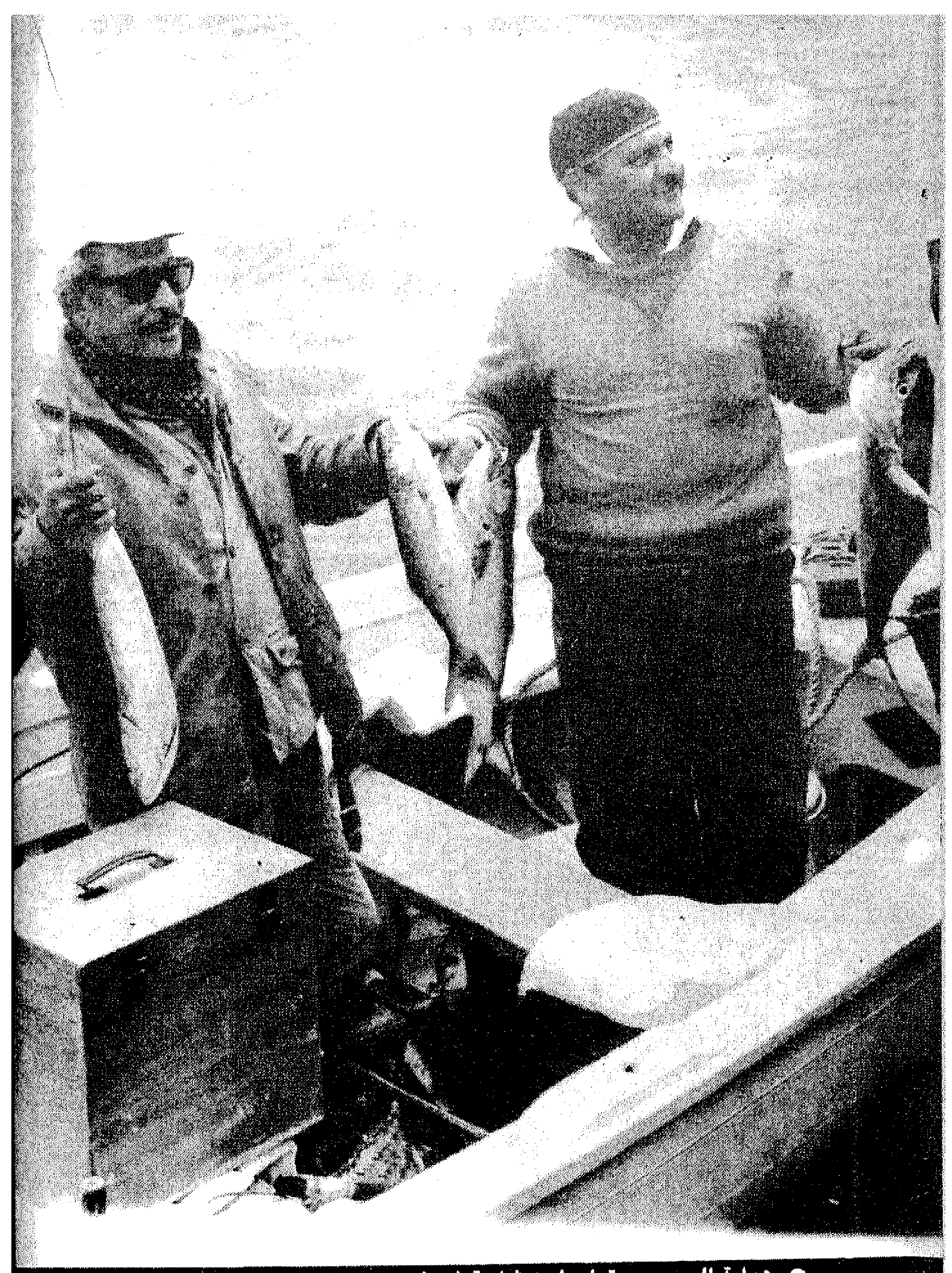
● (الحرمان) مع زوزو ماضي اخراج عاطف سالم .

● (وداعا ياغرامى) مع زينب صدقى وزكى ابراهيم .



● (الخرساء) مع سميرة أحمد اخراج حسن الامام .

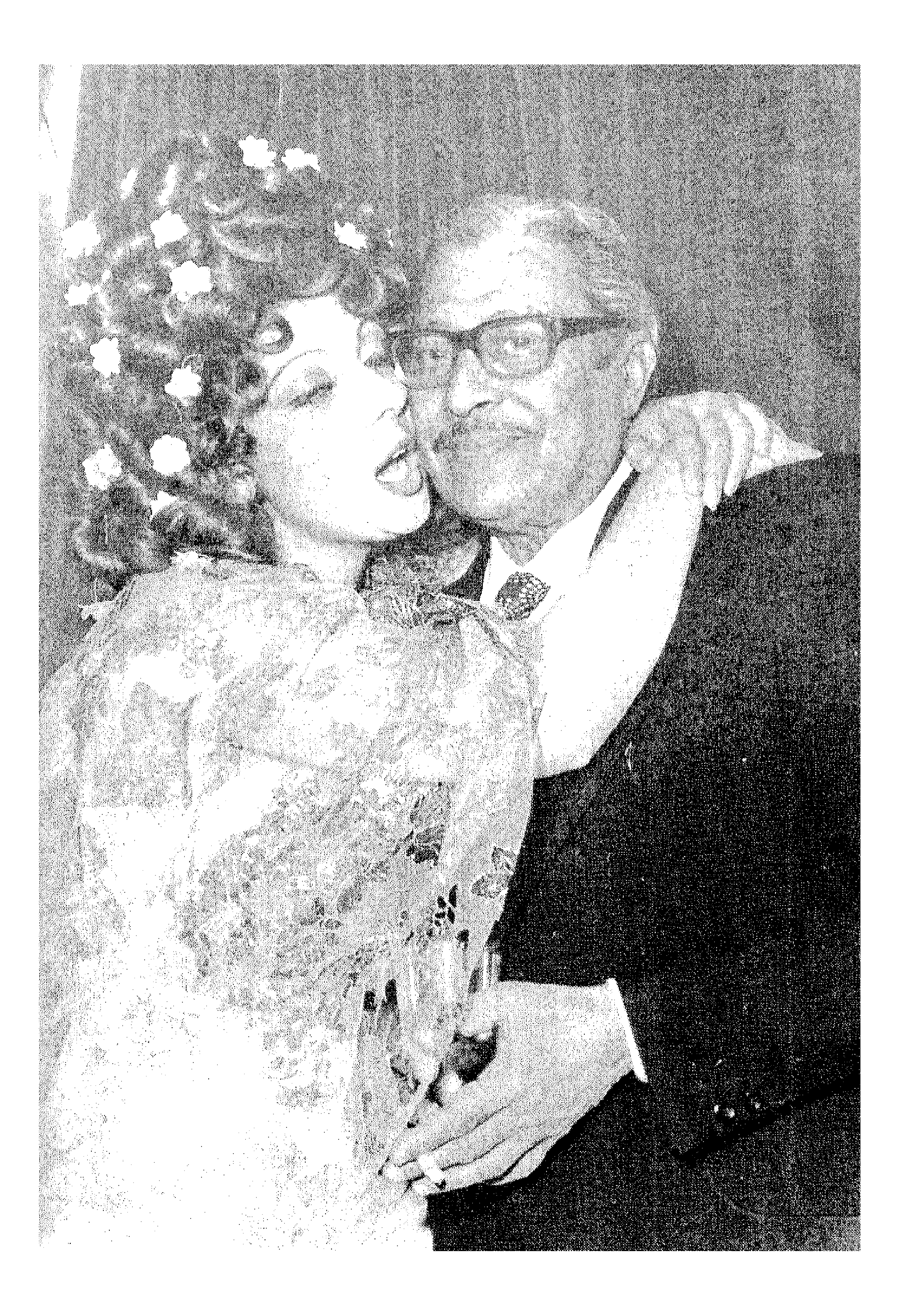
● (رابعة العدوية) مع نبيلة عبيد .. اخراج نيازى مصطفى .



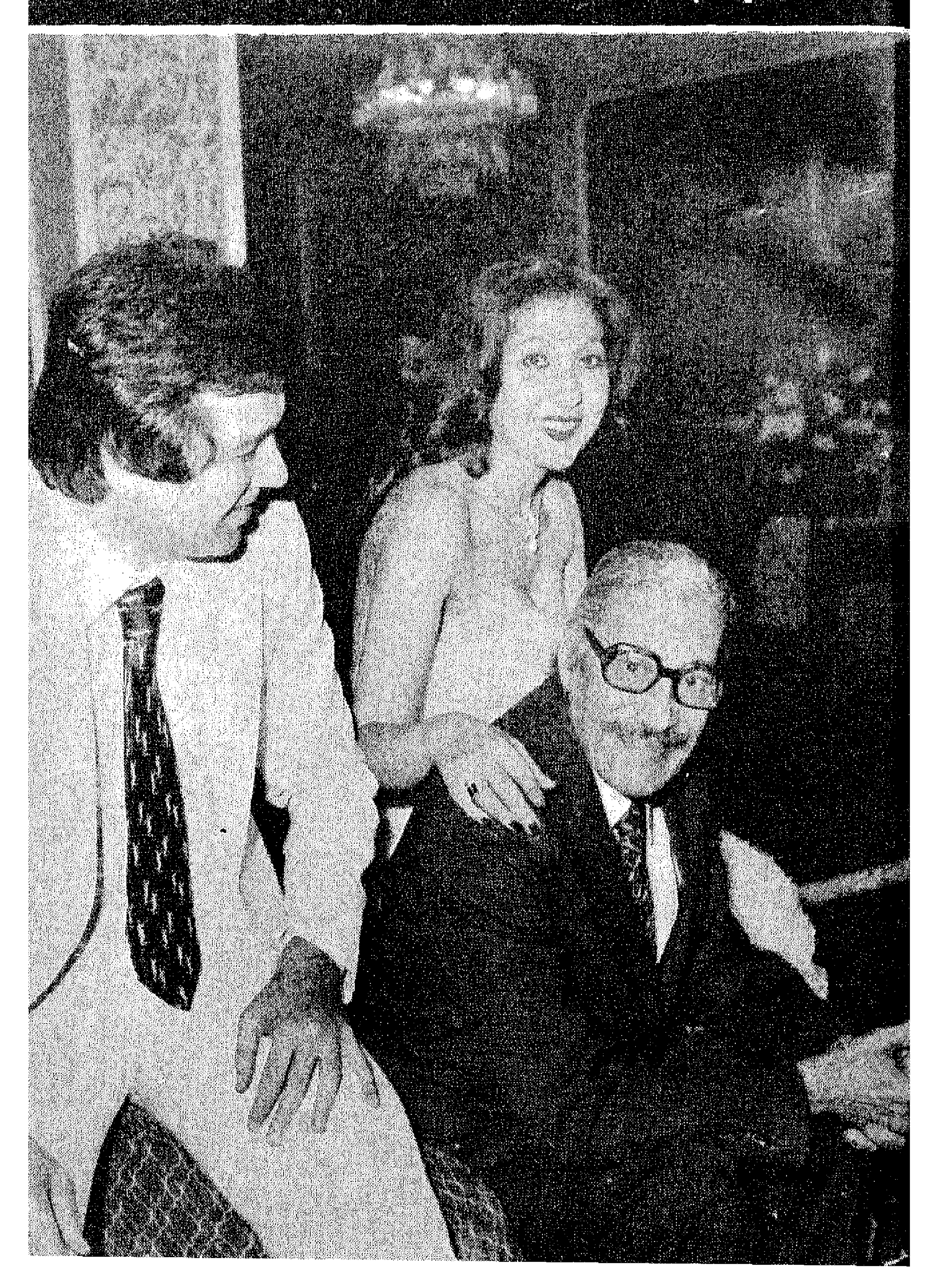
● هواية الصيد . . تعلمها من شادية ثم دفن همومه فيها بعد أن انفصل عنها .



● (نادية) مع سعاد حسنى قصة يوسف السباعى . إخراج أحمد بدرخان .



● عماد حمدى بين نادية الجندى وزوجها محمد مختار . . المناسبة عيد ميلاد نادية الجندى .



● مع الزوجة الثالثة . . نادية الجندى . . فى بداية حياتهما الزوجية .

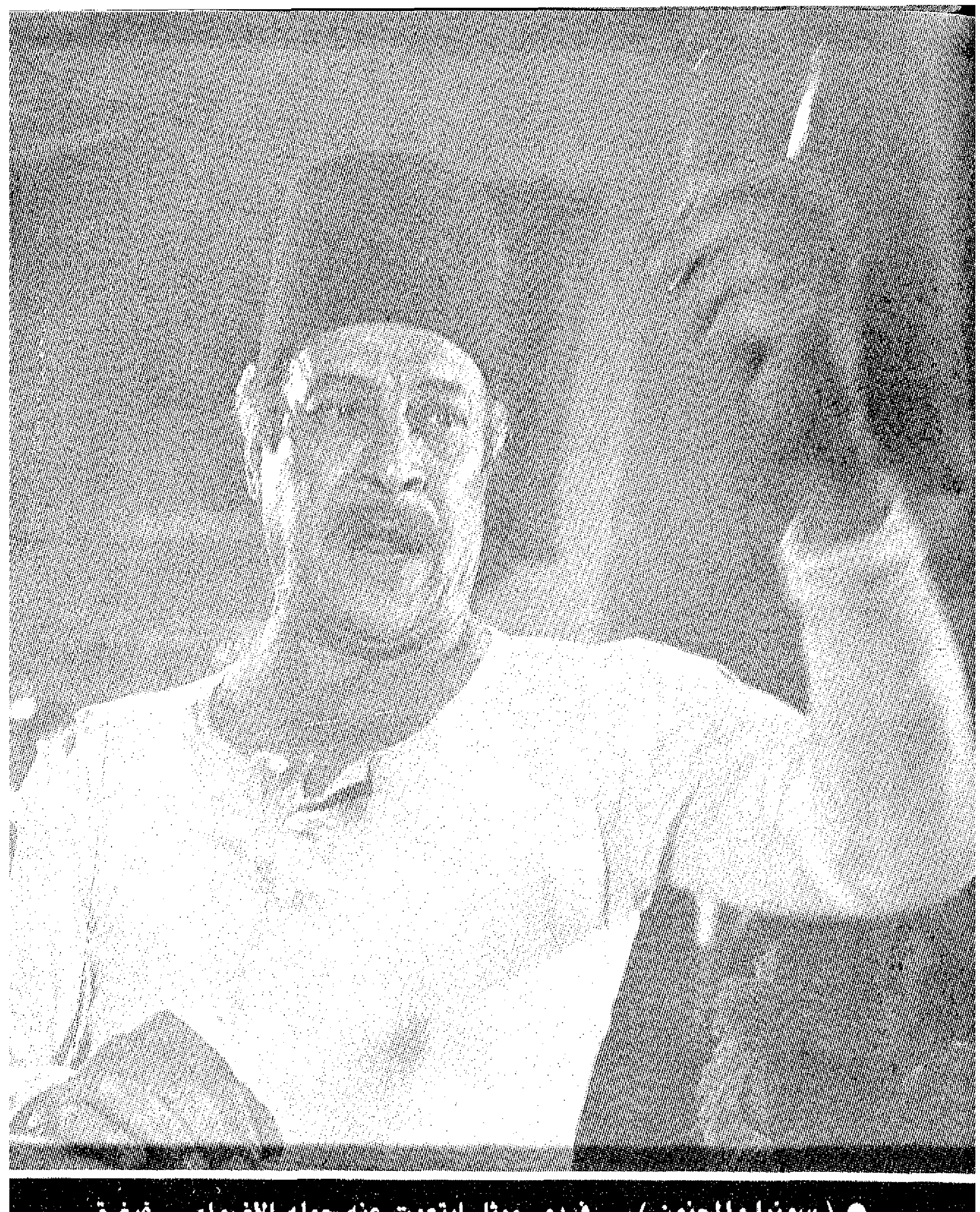
● مع توأمه الدبلوماسى عبد الرحمن . . لا تستطيع أن تفرق من منهما عماد ومن عبد الرحمن !



● (المذنبون) فى دور ناظر المدرسة الطيب عفيف النفس . لكن الظروف الصعبة تدفعه إلى الهاوية . دور حصل به على جائزة أحسن ممثل فى مهرجان القاهرة الدولى عام ١٩٧٧



● (أسياد وعبيد) . الموسيقى المشلول الذى لم يتكلم طوال الفيلم وهو جالس على كرسى متحرك .



● (سونيا والمجنون) .. فى دور ممثل ابتعدت عنه حوله الاضواء .. فيغرق همومه فى شرب الخمر .

● (خان الخليلى) .. ودور البطولة فى مسرحية نجيب محفوظ الخالدة .



● يصافح الزعيم الراحل جمال عبد الناصر حين قلده وسام الفنون فى عيد العلم .



● يصافح الرئيس الراحل انور السادات حيث سلمه جائزة تقديرية في عيد الفن . .



● (السلال) يصافحه مهنئا عن دوره فى فيلم (ثورة اليمن)



● فى مهرجان نيودلهى مع سميرة أحمد حيث عرض لهما فيلم (أم العروسة)

● الأوسمة التى حصل عليها فى احد اركان المنزل .
● لقاء الأجيال . لقاء ودى بين عماد حمدى وعادل امام .



الفصل السابع

خسرت كل شىء . .
من أجل « بمبه كشر » !

ها هى بيروت اخيرا .

بيروت ٢٥ مايو ١٩٦٧ . . بيروت الجميلة . . بيروت الحياةوالفن والجبل . . والسهر . . والاصدقاء . . والصخب . . وراحة النفس والاعصاب . . وعثر لنا الصديق اللبنانى على شقة مريحة اقمنا فيها . . واعطانى (عربون) قدرة خمسة الاف ليره لبنانية . . ولكن بعد ايام اختفى ذلك الصديق اللبنانى . . سالت عنه فى اماكن تواجده . . واخيرا عرفت انه سافر بعيدا عن لبنان . . لماذا لم يخبرنى ؟ ولكى اطمئن نفسى قلت ربما سفر طارىء ومفاجىء . . وحتما سيعود .

بعد يوم او يومين اتصل بى المنتج (طنوس فرنجيه) قال نحن على استعداد لعمل فيلم سينمائى جديد . . ووجودك هنا . . ووجود مجموعة اخرى من الفنانين المصريين فى بيروت فرصه لكى نستفيد بطاقاتكم الفنية . . هل عندك مانع ؟

قلت لا . . المهم ان يكون العمل السينمائى معقولا . . وفهمت منه ان الفنانة سميرة احمد ومحمد سلمان مرشحان للعمل فى نفس الفيلم . . وعرفت ايضا ان منتج ذلك الفيلم (أمير سعودى)

وفى اليوم التالى كان لقاء مع محمد سلمان الذى قال لى . . سنبدأ بعد ستة أيام تصوير الفيلم الذى سيموله(سمو الأمير) ولم يكن كلامه مجرد وعد عابر . . بل اعطانى (عربونا) . . واعطى نادية الجندى ايضا (عربونا) . . مقابل اشتراكنا فى بطولة ذلك الفيلم المنتظر . .

وبدانا نتهيا نفسيا للعمل . . ومر اليوم الأول من شهر يونيو . . ثم اليوم الثانى . . والثالث . . والرابع . . ولم يعد باقيا سوى يومين فقط نبدأ بعدهما تصوير الفيلم الذى ينتجه (سمو الأمير السعودى) . .

ولكن ذات صباح استيقظت فجاة من نومى على دقات على باب الشقة . . دقات قوية لحوحه . . عصبية . . من ذلك المزعج الذى يدق بابنا فى ذلك الوقت المبكر ؟

وفتحت الباب . . ووجدت امامى بائع الصحف . . وقبل ان الومه على ذلك الازعاج غير المبرر . . قال بصوت مرتعش :

— استاذ . . استاذ . . انت نايم ومش دريان . .

— قلت مندهشا ـ دريان بايه ؟

— قال ـ بالنكسه .

— قلت نكسه ايه ؟

— قال ـ اللى حصلت فى بلدكم . . فى مصر . .

وطار النوم من عينى . . حاولت ان اتماسك . . لكن ما سمعته من بائع الصحف كان حقيقة عرفتها كل الدنيا . .

شعور معذب ذلك اليوم الذى يلازم الانسان عندما يشعر بأن بلده فى خطر . . فى محنه . . وهو بعيد لا يستطيع ان يفعل شيئا . . شعور العاجز الذى يكتفى بقراءة وسماع الاخبار المؤسفة . . وبتوجيه الدعوات المخلصة ـ لعل الله ينقذ مصر العزيزة من كل شر ومكروه .

فجاه تحولت بيروت الجميلة الى مصيده . . الى غرفة انتظار لا استطيع ان اغادرها . . وقد تاثرت الحياة فى لبنان بما حدث فى مصر . . وبدأنا نشعر بالآثار المترتبه على نكسة عام ١٩٦٧ . . فقد صدر قرار بأنه ليس مسموحا لأى لبنانى بأن ينفق كل يوم سوى مبلغ محدد . . وليس كما كان يحدث من قبل . . ولبنان بلد البنوك . . والتعامل بالشيكات . لكن التعامل مع البنوك . . والحياة الاقتصادية كلها بدأت تتأثر بما حدث فى مصر . . الانفاق لم يعد كما كان . . وحتى اصدار الشيكات فقد قيمته . . لأن السيولة النقدية تأثرت . . الاموال مكدسه فى البنوك . . لكن خروجها من البنوك لم يعد سهلا وفجأة شعرت بأننى اصبحت من الاثرياء . . من كبار الاغنياء فى بيروت . . اصبحت اغنى من (الأمير السعودى) نفسه منتج الفيلم . . انه يمتلك اموالا طائله فى بنوك لبنان لكنه غير قادر على اخراج تلك الأموال من البنوك بسبب الظروف المفاجئه التى حدثت بعد النكسة التى حدثت فى مصر . . بينما انا امتلك وحدى الوف الليرات فى جيبى عربون فيلمين . . كنت انفق بحذر . لانى ارى أمامى الأثرياء يستدينون . . ولا احد يعرف متى ستنتهى تلك الظروف الاستثنائية التى جعلت الجميع غير قادرين على مغادرة بيروت . . وغير قادرين ايضاً على صرف اموالهم من البنوك . . وزاد من تعقيد الامور فرض حظر التجول . . وهل لبيروت معنى بدون تجول . . بدون حركة . . بدون لقاءات . . وزيارات . . ؟

التجول اصبح ممنوعا بعد المساء . . واصبح مفروضا علينا ان نبقى فى اماكن اقامتنا ولا نغادرها بعد السادسة مساء . .

كان فى بيروت فى تلك الظروف غير الطبيعية مجموعة كبيرة من الفنانين المصريين . . الموسيقار محمد عبد الوهاب . . وفريد الاطرش . . وسميرة احمد . . ومريم فخر الدين . . وفؤاد المهندس . . والمخرج حسن الامام . . على ما اذكر وربما كان الموسيقار محمد عبد الوهاب اشدنا انزعاجا . . لدرجة انه غير مكان نومه من غرفة تطل على الشارع إلى غرفة فى الداخل . . لعدم الشعور بالامان . . وهو شعور كان يلازمنا جميعا . . وان كنا نحاول جاهدين ان نخفيه ونداريه بتواجدنا معا فى مكان واحد . . نتبادل فيه الكلام والذكريات . . والامنيات السعيدة باقتراب انتهاء تلك الظروف غير العادية . .

وكنا عادة ما نلتقى فى المكان الذى كنت أقيم فيه . . ويستمر ذلك الاجتماع الليلى ابتداء من السادسة مساء موعد بدء حظر التجول . . حتى مطلع الصباح . . موعد انتهاء حظر التجول . . وبعد ايام وأسابيع عصيبة بدأت تهدأ الاحوال . . وتعود الاوضاع الى طبيعتها وانتهينا من تصوير الفيلم الذى نسيت اسمه . . كل ما اذكره عنه انه فيلم لبنانى شاركنى فى بطولته فنانتان مصريتان سميرة أحمد ونادية الجندى . . بالاضافة الى ممثلتين لبنانيتين . . وعدنا الى مصر عن طريق البحر . .

لعنــــة راســـــبوتـين . .

لكن علاقتى بلبنان لم تنته عند ذلك الحد . . فقد عدت من جديد الى بيروت . . ولكن فى ظروف اخرى . . وفى الفترة التى كان فيها الاديب يوسف السباعى وزيرا للثقافة . . اعاد الفنان الكبير يوسف وهبى تكوين فرقته المسرحية التى قامت بجولة فى اكثر من دولة عربية . . وقضينا فى لبنان اسبوعا . . ثم ذهبنا الى الاردن . . ومن بين المسرحيات التى عرضناها خلال تلك الجولة مسرحية (راسبوتين) . . التمثيل المسرحى متعة . . خاصة إلى جانب **يوسف وهبى** . . وفى بداية الستينات عندما عرض على السيد بدير فكرة الظهور على المسرح . . لم اتردد ابدا . . وافقت . . وعملت على مسارح التليفزيون فى مسرحية (خان الخليلى) التى اخرجها حسين كمال . . كنت سعيدا بتلك الجولة المسرحية لسببين ـ انها أولا مع واحد من اهم فنانى المسرح العربى (يوسف وهبى) ولانها ثانيا ستجعلنى اتعرف عن قرب على جمهور المسرح فى البلاد العربية . . وهو جمهور مختلف طبعا عن جمهور السينما الذى تعودت ان اتعامل معه دون ان اراه . . ودون أن احتك به مباشرة . . ودون ان القاه وجها لوجه . . وهذه

هى ميزة التمثيل المسرحى . . الاحتكاك المباشر . . وسماع رأى الجمهور ومعرفة احساسه . . قبوله ورضاه . . او عدم قبوله وعدم رضاه . . دقيقة بدقيقة . . لحظة بلحظة . . وتحولت تجربة عملي مع فرقة يوسف وهبى . . ومع راسبوتين بالذات . . تحولت الى ذكرى لا تمحوها الأيام من ذاكراتى مهما تقدم بى العمر . . أصبحت كلما تذكرت (راسبوتين) اتحسس عظامى . . واتذكر آلامى . . حدث ونحن نقدم آخر ليلة عرضا من مسرحية (راسبوتين) فى الاردن . . ان وقعت الواقعة . . وكادت (لعنة راسبوتين) ان تقضى علي . . كان المفروض ان اؤدى دور خادم راسبوتين . . والمفروض انه يمسك بخادمه فى المسرحية ويلقيه بقوة على الأرض . . ويبدو ان طريقة امساكى ودفعى نحو الارض . . كانت قوية اكثر من اللازم لدرجة انها كسرت لى ضلعين كانا مكسورين مرة سابقة . . فأصبحت آلامى مضاعفة . . وشعرت ونحن نغادر الاردن انى اكاد أموت من الألم بسبب (راسبوتين) . . وكانت محطتنا بعد ذلك (الكويت) . . ومن شدة الالم لم اشعر بهم وهو ينقلونى إلى المستشفى . . لكن الذى اذكره ان الذى فحصنى كان طبيبا مصريا واكتشفت طبعا انى اعانى من كسور مضاعفة . . كسور قديمة تجددت بفضل (راسبوتين) سمعت مرة ان المشاكل قد لاحقت بعض الممثلين العاملين فى فيلم كان يتم اعداده عن حياة راسبوتين المليئة بالأحداث . . والغرائب . . والخوارق ومن كثرة تلك المتاعب اليومية قالوا انها لعنة راسبوتين . . وكأنها لعنة الفراعنة التى مازالت تطارد البعض . . لكن ماذنبى انا ؟ هل ذنبى انى قبلت ان اعمل خادما للسيد راسبوتين فى المسرحية التى تحمل اسمه ؟

آه يا راسبوتين . . من الألم الذى كان يعذبنى فى ذلك الوقت . . الام تجعل راسبوتين شخصيا ينتفض من مثواه الأخير بعد كل تلك السنين التى مرت على رحيله . .

كانوا قد وضعونى داخل لفافات محكمه خوفا من الحركة التى قد تزيد الام الكسور . . وبدات اضيق بتلك اللفافات المحكمة التى حاصرت جسمى . . شعرت بانها قيود تكبلنى . . تكاد تزهق روحى . . شىء فظيع ان يبقى المرء هكذا مقيدا . . وغير قادر على الحركة . . او على عمل اى شىء . . ولفترة طويلة !

لكنى بدأت استسلم لظروف المرض الصعبة . . لتلك النهاية غير السعيدة لرحلتنا المسرحية . . فى الافلام نمثل ونصور النهايات السعيدة دائما . . بعودة الاحياء . . وانتصار الخير وبالسعادة . . والأمل . . والابتسامات . . وفى الواقع بعيدا عن الشاشة لا نرى غير النهايات غير السعيدة . .

لكن الحق يقال . . ان الخدمة فى مستشفيات الكويت جيدة جدا . . العناية . . والرعاية . . والاجهزة الطبية الحديثة . . ومستوى الاطباء . .

وشاءت الظروف ان تكون نهاية آلامى على يد ذلك الطبيب المصرى الذى لا انسى ماقدمه لى . . اعطانى حقنه ساعدت على التئام الجروح بسرعة مدهشة . . وقال لى اتفضل . .

قلت - على فين ؟

قال وهو يبتسم - اتفضل مع السلامة . .

ونزعت اللفائف من على جسدى . . ووجدتنى اتحرك بسهولة . . وبدون الم . . وشكرت الطبيب صاحب الحقنة السحرية التى انستنى مافعله بى راسبوتين .

وانتهت علاقتى بنادية الجندى

عدت افكر فى الانتاج السينمائى . . كنت قد انتجت فيلمين لشادية (شاطىء الذكريات) و (ليلة من عمرى) . . ليس غريبا ان يفكر الزوج فى انتاج فيلم لزوجته . . ما المانع ؟ اذا كانت زوجته ممثلة اختارت فن التمثيل حياة ومستقبلا . .

وهكذا بدأت استعد لانتاج فيلم « بمبة كشر » لزوجتى نادية الجندى . . فيلم استعراضى غنائى من اخراج حسن الامام يتطلب نفقات غير عادية . . مجاميع . . راقصات . . مغنيات . . استعراضات . . وملابس وديكورات تختلف عن ملابس وديكورات الافلام العادية . .

ولم ابخل بشىء . . كنت اريده فيلما استعراضيا ناجحا . . وحتى اتحاشى متاعب الضرائب كتبت الفيلم باسمها . . لقد بلغت تكاليف انتاج فيلم « بمبه كشر » أكثر من خمسين الف جنية - حاليا اذا انتج مثل هذا الفيلم يتكلف اكثر من ٢٠٠ الف جنية - واصبح معروفا انه من انتاج نادية الجندى . . كان اتفاقنا ان تأخذ هى نسبة معينة من الايرادات . . المفروض ان الثقة موجودة فى اتفاقات الازواج . . هل من الضرورى ان يكتب الزوج اوراقا ويحضر شهودا . . كان اتفاقا بين زوج وزوجته لا يحتاج لكل تلك الاجراءات التى تتخذ عادة ما بين الغرباء . . وبدأ عرض فيلم « بمبه كشر » . . وحقق نجاحا كبيرا . . واستمر عرضه لاسابيع عديده . . وحقق ايرادات معقوله ان فيلم بمبه كشر هو الذى قدم نادية الجندى للناس كبطلة . . وبطلة للفيلم الاستعراضى تجيد الرقص والغناء والتمثيل . .

ورغم ان ذلك هو الذى صنع اسمها ودفعها فى طريق الفن خطوات واسعه . . رغم ذلك كله لم آخذ مليما من ايرادات الفيلم الذى انتجته باسم زوجتى . . واردت أن اتحاشى متاعب الضرائب . . فخسرت كل شىء !

وصدقوني . . لم أحزن بسبب خسارة المال . . فالمفروض ان يضحي الزوج من اجل زوجته . . ان يفعل ما يريحها . وما يساعدها على تحقيق النجاح الذى تريده . . لم اكن نادما على ما انفقته طالما ان الفيلم قد نجح وحقق الهدف . . وطالما انى قدمت خدمه لزوجتى التى اخترتها اثناء عملى فى فيلم (زوجة من الشارع) . . ولكن تجربة انتاج فيلم (بمبه كشر) تركت فى نفسى آثارا لا يمكن ابدا ازالتها !

وهناك تفاصيل اخرى لا احب ان اخوض فيها . . لكن كل تلك الظروف بالاضافة الى الفارق الكبير فى العمر . . جعلت الخلافات تنشأ بينى وبين نادية الجندى . . معروف انى عشت معها اطول فترة زواج . . ثلاثة عشر عاما . . لكن الحقيقة ان الاستمرارية لم تكن موجوده . . لقد انتهى العمر الافتراضى لحياتنا الزوجية قبل ذلك بكثير . . والانسان يظل يتحمل . . ويتحمل . . حتى تأتى لحظة معينة يصبح فيها غير قادر على التحمل . . او الانتظار . . اخذت حقيبة وضعت فيها بعض ملابسى . . ثم تركت بيت الزوجية . . وعند منتصف الليل كنت أدق جرس باب بيت أخى الذى نظر الى منزعجا .

— ايه يا عماد فيه حاجه ؟

قلت بوجوم : لا . . مفيش حاجة .

كنت احاول ان ابدو هادئا . . لكن اخى . . توامى . . الذى هو جزء من كيانى . . فهمنى دون ان اتكلم شعر بانى لا ارغب فى الكلام . . فاحترم صمتى لم يشا ان يزيد من الامى . . فلم يطلب اية تفاصيل . . وانشغل بترتيب المكان الذى سانام فيه . . لانى لم اكن قادرا على شيء . . كنت اشعر بارهاق شديد . . ونمت نوما عميقا . . وكانى لم انم من شهور طويلة . . وبقيت فى بيت اخى ستة ايام متواصلة . . ثم ذهبت الى الماذون القريب من البيت فى حى الزمالك . . واتممت اجراءات الانفصال . . ووصلتها ورقة الطلاق . . لم اندم على شيء . . لا على الانتاج السينمائى الذى كلفنى الالوف . . ولاعلى شقة الزمالك . . شقة تمليك كانت فى الاصل شقتين حولتها الى شقة واحدة من تسع غرف . . لايقل ثمنها حسب اسعار الثمانينات لايقل عن ربع مليون جنية . . كتبتها ايضا باسمها لكنى لم اكن نادما . . المال يجيء ويذهب . . واذا اكتشف الانسان فى حياته خطا ما لماذا لا يصححه ؟

اذا اكتشف ان حياته الزوجية لم تحقق له الاستقرار الذى كان يريده . . فلماذا يتمادى فى تعذيب نفسه . . وتعذيب من يعيشون حوله ؟ لماذا الاستمرار ؟ هل هو حب فى تعذيب النفس ؟ حب للألم ؟

خسرت المال . . وكسبت نفسى

ان راحة البال تساوى كل اموال الدنيا . . كنت أريد فقط راحة البال . . الحياة الزوجية الفاشلة قد تدفع بعض الازواج الى الجنون . . او الى الانتحار . . لكنى والحمد لله خرجت من تلك التجربة سليم العقل . . ولم افكر ابدا فى القاء نفسى فى اقرب نافذه !

راحة البال هى الكنز الذى لانكتشفه فى الوقت المناسب . . اعظم شىء ان ينام المرء كل ليلة مرتاح البال . . الارق اسوأ صديق . . وعندما يلازمنا الارق . . عندما يقيم الارق فى غرف نومنا . . تصبح الحياة عذابا لايطاق . . ما أهمية ان يكون الانسان صاحب ملايين . . وهو يتقلب كل ليلة فى فراشة . . وكأنه يتقلب على الجمر . . على النار . . ؟

خرجت خالى الوفاض . . وكأنى أبدأ حياتى من جديد . . لكن لا يهم . . الطعام والشراب ليسا مشكلة المهم راحة البال . . والله كريم . . قادر على كل شىء . . لقد كنت حسن النيه . . حتى فى الاخطاء التى وقعت فيها . . فليذهب كل شىء . . وليبق فقط شعورى بالرضا عن نفسى . .

سيقول عنى الناس اننى (رجل مزواج) . . لكن هذا القول يظلمنى كثيرا . . ومن الذى يحب الطلاق ؟ ومن الذى لا يتمنى أن يعيش تجربة زوجية واحدة مستقره سعيده ؟ لكن لكل انسان ظروفه . .

لسنا أول اثنين فى العالم تنتهى حياتهما الزوجية بالطلاق . . ولن نكون آخر اثنين يفعلان ذلك . . والافضل لنا ولابننا ان ننفصل بهدوء وبدون ازعاجات لامبرر لها . .

المهم الا نكون سببا فى اصابة الولد بعقده نفسيه . . والا يتحمل هو نائج اخطائنا . . نريد ان نفترق اصدقاء دعيه يعيش معك . . لا اريد ان احرمه منك . . فهو وحيدك . . وانا اعلم انك لاتستطعين ان تعيشى بدونه . اننى استطيع ان ازوره باستمرار فى المدرسة . . المهم الا نشعره بأى نقص او حرمان . . وكانت عاقلة فى تلك اللحظات . . ولأول مرة اراها تفضل العقل على العاطفة

عندما انفصلت عن شادية ظلت الصحف والمجلات تكتب لفترة طويله . . وكان انفصالنا حدث هام . . يستحق الكلام والتعليقات . . والتاويلات والتفسيرات . . لماذا وقع الانفصال ؟

وهل هناك احتمال للتفاهم . . وللعودة ؟ وما هو دور اولاد الحلال من الوسطاء والاصدقاء ؟

كان انفصالى عن شادية اشبه بالمفاجأه غير السارة التى صدمت اغلب الناس . . حتى الناس العاديين من خارج الوسط الفنى . . اناس لا اعرفهم معرفة شخصية كنت القاهم فى الاماكن العامة فيسألوننى بحب ومودة . . (امتى ترجعوا لبعض يا استاذ عماد) .

لكن عندما حدث انفصالى عن نادية الجندى لم تكتب الصحف اكثر من خبر موجز عن واقعه الانفصال . . وكأن أحدا لم يندهش لما حدث . . وكأن تلك النهاية كانت منتظره ومتوقعه . . لم تكن هناك مفاجأة . . أو صدمة أو استغراب . . أو حتى مجرد سؤال لماذا حدث الانفصال ؟

وهكذا عشت تجربة الزواج ثلاث مرات . . المرة الأولى مع المنولوجست المعروفة فتحية شريف عام ١٩٤٦ . . والمرة الثانية مع شادية عام ١٩٥٣ . . والمرة الثالثة مع نادية الجندى عام ١٩٦١ . . وارجوكم لا تظلمونى مرة اخرى قائلين انى (رجل مزواج) . . فكم كنت اتمنى ان اعيش تجربة زواج واحد مستقره . . لكن فارق العمر كان مسئولا عن الفشل الذى اصاب زيجتين منهما . .

الفارق الكبير فى العمر يجعل الزوجين منفصلين متباعدين . . ليس بينهما تفاهم او اقتراب . . ليس بينهما اسلوب واحد للتفكير . . لغة مشتركه . . يصبح كل منهما جزيرة معزولة . . ويصبح التلاقى مستحيلا صعب التحقيق .

ويا ابنائى الشبان الراغبين فى الزواج . . خذوها نصيحة مخلصة من زوج سابق مجرب لاتتزوج يابنى من تصغرك بعشرين عاما . . لانك ستتزوج الارق . . والخلافات . . ستتزوج الهموم والمتاعب . . وسيصبح هدفك الوحيد . . ان تتحرر من القيود . . ان تكون طليقا . . حرا . . مرتاح البال والضمير . . حتى لو خسرت كل اموالك التى جمعتها بعرق الأيام . . وسهر الليالى . . وتعب السنين !

وقبلت أخى قبلة الموت !

عدت لحياة الوحدة من جديد . .

حياة ليست غريبة عنى . . ولست غريبا عنها . . بقيت خمسة اعوام وحيدا بعد انفصالى عن شادية . . قضيت منها عاما كاملا فى فندق . . وحياة الفنادق لفترات طويلة تصيب المرء بحالة اكتئاب . . الفنادق للزيارات السريعة والاقامة القصيرة . . نوع من التغيير يحتاجه البعض احيانا . . يعودون بعده إلى حياتهم العادية داخل بيوتهم . . ووسط اولادهم . . ومهما كانت الفنادق فخمة . . وانيقة . . وحديثة . . فاننا لا نجد فيها ابدا دفء العواطف الاسرية . . ومهما كان البيت متواضعا . . فانه يظل دائما نبع الدفء الذى لا يجف ابدا . . لكنى خسرت بيتى الذى انفقت على تاثيثه وتجهيزه كل ما أملك من مال . . وكسبت ما هو أهم وابقى . . كسبت راحتى . . وحريتى . .

هذه المرة بعد انفصالى عن نادية الجندى لم اكن فى حاجة الى الهروب والانزواء بعيدا عن عيون الآخرين . . وعادة حينما يمر الانسان بمحنة قاسية فانه يحاول ان يبتعد وينعزل . . لكى ينفرد بنفسه . . ولكى يتحاشى نظرات الفضوليين . . والشامتين . .

لكنى هذه المرة لم اكن فى حاجة لذلك كله ـ لسبب بسيط ـ هو انى لم اخرج من تلك التجربة الزوجية الثالثة منهارا . . ولا نادما . . ولا حزينا . . علمتنى الحياة ان من يخسر المال اسعد من الذى يفقد نفسه . . وحريته . . وارادته . .

علمتنى تجارب الدنيا العجيبة ان الانسان قرار . . المهم ان يعرف كيف يتخذ ذلك القرار فى التوقيت المناسب . . واعتقد انى اتخذت قرارى فى التوقيت الصحيح والملائم . . فلماذا اتوارى عن العيون ؟ ولماذا اهرب من الناس ؟ المال استطيع تعويضه . . وما يجرى يمكن نسيانه . . بسرعة اندمجت فى العمل . . وواصلت رفض الأدوار التى لم تعد تناسب عمرى . . وواصلت أيضا تقديم أدوار مرحلة النضج . .

الفنان يجب الا يتوقف عند مرحلة فنية معينة . . يجب الا يصيبه الجمود . . لماذا اذهب بعيدا ـ دون ان اشير إلى ما حدث مع صديقى وحبيبى **فريد شوقى** . . لقد ظل متمسكا بلقب (**وحش الشاشة**) حتى بعد ان تخطى مرحلة الشباب . . وبقى مصرا على أداء الأدوار التى لم تعد تناسبه . . لكنه استطاع ان يدرك ذلك فى التوقيت المناسب قبل أن يدركه الخطر . . وقبل ان تتوارى من حوله الأضواء . . وأصبح يؤدى أدوارا انسانية لا تنسى . . واعترف الجميع بأن (**وحش الشاشة**) من أحسن ممثلى الدراما فى مصر . . وارتفع اجره . . وحصل على جوائز عديدة . . واصبح هو نفسه راضيا عن نفسه وقانعا بالمستوى الفنى الكبير الذى حققه مع ادوار الشخصيات المسنة التى غطت التجاعيد وجوهها . . وانتشر الشعر الابيض فوق رءوسها . . وحقق من خلال تلك الأدوار كل ما لم يحققه عندما كان (**وحش الشاشة**) الذى يهزم الجميع ولا يهزمه احد .

هذه المرحلة ـ مرحلة الشيخوخة ـ هى أيضا بالنسبة لى أهم واخصب سنوات عمرى . . انها سنوات النضج . . والاكتمال . . قدمت انجح وأهم ادوارى . . وقد كانت بداية هذه المرحلة بالنسبة لى فى فيلم « **المرأة المجهولة** » الذى اديت خلاله مرحلتين مختلفتين من العمر . . الزوج الذى كان شابا ـ ثم نفس الزوج بعد ان أصبح عجوزا . . المهم ان نهتم بكتابه الادوار التى تناسب الممثلين المتقدمين فى العمر كما يحدث فى الخارج . . وحتى ذلك الممثل الذى أصيب بالشلل اعدوا له حلقات خاصة . . ولم يتركوه بلا عمل . . بل اشعروه بحاجتهم اليه وافتقارهم لادواره . . فعوضوه نفسيا عما حدث له . . وبالطبع لو كان ذلك الممثل (**المشلول**) مصريا . . لألقوا به فى أحد المستشفيات . . ولا اعتقد ان واحدا من كتاب القصة السينمائية كان سيفكر فى كتابة دور خاص له يراعى ظروفه الصحية . . ويستفيد من طاقاته الفنية . . بل كان سيعيش بقية ايام حياته وحيدا . . **دون كلمة مواساه** . . او باقة ورد . . وستصبح نهايته المحتومة مجرد خبر صغير فى صحيفة ، يعلن رحيله . . ويعلن ايضا ان احدا من الذين زاملوه وعملوا معه لم يظهر فى جنازته ليودعه الوداع الأخير . .

ومن أدوار مرحلة النضج التى اعتز بها دورى فى فيلم « **ثرثرة فوق النيل** » الذى كان يتطلب منى أن أكون مدخنا للحشيش . . وان أظهر فى أكثر المشاهد غائبا عن الوعى . . وكان معروفا عنى أننى لا أعرف أى نوع من المخدرات . . لم استعملها . . ولم افكر فى استعمالها . . وقبلت التحدى . . أن أتحدى نفسى . . وأؤدى باتقان دور الشخص الذى يتعاطى المخدرات . . وانا الذى لم اعرفها فى يوم من الايام . .

وقال لى البعض ـ يجب أن تجرب بنفسك . . حتى تستطيع أن تؤدى الدور بالصورة السليمة . .

وعرضوا على أن أذهب معهم الى احدى (**الغرز**) لكى أشارك الجالسين فى (**القعدة**) ، ورفضت . . لكن كان هدفى ان اعرف تصرفات (**الحشاش**) . . طريقة كلامه . . وحركته . . وتعبيراته . . وما هو الفرق بين (**الحشاش**) وبين (**السكران**) . . وعرفت ان الذى يتعاطى الحشيش يتكلم بهدوء . . ولكن ليس بطريقة (**السكران**) الذى لا يستطيع أن يتكلم . .

وعرفت أيضا أن الذى يتعاطى المخدارات تبدو عيناه تائهتين لا تنظران إلى شىء محدد . .

وأذكر ان بعض الزملاء المشاركين فى تمثيل ادوار الفيلم قد ادوا كما يؤدى (**السكران**) وليس كما يؤدى من يتعاطى المخدرات ـ بينما اديت انا كما يؤدى (**الحشاش**) رغم انى لا اعرف المخدرات ولم اذقها ابدا فى يوم من الأيام .

وأعتقد ان افضل مرة اديت فيها دور (**السكير**) كانت فى فيلم (**سونيا والمجنون**) . . وبالتحديد فى مشهد (**السلم**) . . بعد انتهائى من أداء ذلك المشهد لاحظ المخرج حسام الدين مصطفى ان شاربى المستعار لم يكن مثبتا بطريقة طبيعية . . وكان لا بد ان نعيد تصوير المشهد مرة اخرى بسبب الشارب . . كان صعبا ان اندمج مرة اخرى بنفس احساس المشهد الذى صورناه . . ورغم ذلك قلت لهم ـ (**لا يهم . . سأؤدى المشهد مرة اخرى . . ساعود سكيرا كما كنت**) .

وفى فيلم (**اسياد وعبيد**) الذى اخرجه **على رضا** اديت دور موسيقى اصيب بالشلل . . وهو دور يحتم على من يؤديه ان يظل جالسا فوق مقعد متحرك . . وهكذا ظهرت فى كل المشاهد صامتا . . جالسا فوق المقعد المتحرك . . لم اقل غير ثلاث كلمات ورغم ذلك كنت سعيدا بذلك الدور ، فقد اتاح لى فرصة التعبير بوجهى وبعينى . . انه أفضل فى رأيى من أدوار البطولة المطلقة كثيرة الكلام . . قليلة التعبير .

أما أغرب موقف تعرضت له أثناء عملى السينمائى فهو ذلك الذى حدث عندما كنت أشارك **الفنانة مديحة يسرى** . . فى فيلم قديم من اخراج **عز الدين ذو الفقار** . . كان المشهد الذى يجرى تصويره يتطلب ان اظهر نائما على السرير . . وبجوارى **مديحة يسرى** التى كان مفروضا ان تقوم هى بكل الاداء والحركة فى ذلك المشهد . . وان تظهر وهى تتقلب فى الفراش تعبيرا عن قلقها وانشغالها . . بينما كان مطلوبا منى فقط ان اظهر فى المشهد مستغرقا فى النوم العميق . . وكنت بالصدفة مرهقا جدا فى ذلك اليوم . .

وبمجرد ان وضعت رأسى على الوسادة . . استغرقت فى النوم الحقيقى . . وليس فى النوم التمثيلى . . واعادوا المشهد مرة اخرى . . وعندما اكتشفوا نومى ـ قال لهم المخرج عز الدين ذو الفقار

— (**سيبوه نايم . . المهم ما يشخرش**) .

ثم اعادوا تصوير المشهد مرة ثالثة . . ورابعة . . وخامسة . . لكن حدث ما لم يكن فى الحسبان . . شب حريق مفاجىء داخل البلاتوه . . وانشغل الجميع بمحاولة اطفاء النيران . .ونسيونى تماما . . لم يفكر احدهم فى ايقاظى . . لكننى استيقظت فجأة مذعورا مع اصوات صارخة (طفوا النار . . طفوا النار) . . وبدون ان اشعر وجدتنى اصيح مثلهم (طفوا النار . . طفوا النار) . . لدرجة انهم لم يتمالكوا انفسهم . . وانفجروا ضاحكين . . وحمدت الله ان النار لم تصل إلى السرير الذى كنت نائما عليه ـ ومن يومها لم انم داخل البلاتوهات . . مهما أكن متعبا . .

أما شخصية الأخ الأكبر الذى يحترق كالشمعة ليملأ حياة من حوله بالنور والأمل . . (**احمد عاكف**) . . بطل رواية (**خان الخليلى**) **للكاتب الكبير نجيب محفوظ** . . هذه الشخصية سعدت بتقديمها مرتين . . وبشكلين مختلفين . . المرة الأولى على المسرح عندما حولت الرواية إلى مسرحية من اخراج **حسين كمال** ، والمرة الثانية عندما حولت الرواية إلى فيلم سينمائى اخرجه **عاطف سالم** . . لكن (**احمد عاكف**) السينمائى كان اوضح واقرب للرواية الأصلية من (**أحمد عاكف**) المسرحى . . ولذلك سعدت بدورى السينمائى اكثر من دورى المسرحى .

أما دورى فى فيلم (**ميرامار**) المأخوذ عن رواية **نجيب محفوظ** التى تحمل نفس الاسم . . فهو أيضا من الأدوار العزيزة والمحببة الى نفسى . . رغم انى لم أكن البطل الأوحد . . فالجميع كانوا أبطالا . . لكن ذلك الفيلم (**ميرامار**) كان مختلفا عن افلامى السابقة التى شاركت فى بطولتها . . فهو فيلم جرىء . . ملىء بالنقد الاجتماعى لكثير من الاوضاع فى حياتنا . . وكان هناك اتجاه لمنعه من الوصول الى الشاشة بسبب نقده الشديد لرجال الاتحاد الاشتراكى . . والمستفيدين من الثورة دون ان يكونوا مقتنعين بها . . وكل الانتهازيين الذين رفعوا شعاراتها دون ان يفهموها . . ويكفى ان فيلم (**ميرامار**) لم يصرح بعرضه الا بعد ان شاهده مسئول كبير جدا . .

وهناك افلام لم اكن فيها بطلا مطلقا . . احظى وحدى بكل الاهتمام والاضواء . . ورغم ذلك اعتز بها واعتبرها من ذكرياتى الفنية السعيدة . . دورى مثلا فى فيلم (**الرجل الذى فقد ظله**) قصة **الكاتب المعروف فتحى غانم** . . ودورى فى فيلم (**المذنبون**) الذى اعتبره مع (**ثرثرة فوق النيل**) و (**ميرامار**) من الافلام ذات

الطابع السياسى . . وفى (**المذنبون**) الذى اخرجه **سعيد مرزوق** عن قصة **نجيب محفوظ** . . قدمت شرائح مختلفة من قطاعات المجتمع بكل ما فيها من فساد . . فمن خلال مصرع الممثلة المعروفة تشير اصابع الاتهام إلى اكثر من متهم . . ومن بينهم (**ناظر المدرسة**) الذى كنت اؤدى دوره . . ناظر مدرسة طيب القلب . . وشريف . . عفيف النفس . . لكن الظروف التى كانت اقوى منه دفعته الى طريق الهاوية . . الى التخلى عن عفة النفس التى كانت افضل واشهر مزاياه . . وفى ظل تلك الظروف الفاسدة . . وتحت تهديد الظروف الأقوى منه اضطر لبيع اسئلة الامتحان . . وكان لا بد ان تنهى حياته داخل السجن كواحد من هؤلاء (**المذنبون**) . .

لقد شاركت فى بطولة اكثر من فيلم مأخوذ عن اعمال لكاتبنا الكبير نجيب محفوظ (**خان الخليلى**) و (**ميرامار**) و (**ثرثرة فوق النيل**) و (**المذنبون**) . . وكنت اعرف ان نجيب محفوظ يكن لى تقديرا خاصا . . لكنى لم التق به للاسف . . لانه متباعد دائما عن الاعمال السينمائية المعدة عن رواياته . . ويخيل الى انه لا يشاهد حتى تلك الأفلام . . أنه كاتب عزيز الانتاج . . ويبدو أن وقته المشغول بالخلق والابداع لا يسمح له بالذهاب الى دور السينما . . على عكس الاديب الراحل يوسف السباعى مثلا الذى كان حريصا على معايشة اعماله الأدبية اثناء عملية تحويلها لافلام سينمائية . .

وقد ذكرت من قبل انه التقى بى اكثر من مرة ليناقشنى فى الادوار التى سأؤديها فى أفلامه كما حدث فى « **بين الاطلال** » و « **انى راحلة** » . . كان مهتما جدا بالشكل الذى ستخرج به رواياته وشخصياته . . ولم يكن يطمئن او يهدأ الا عندما يشعر بالرضا الكامل عنها . . لدرجة انه كان يحرص على حضور التصوير داخل البلاتوهات . .

ومن الادوار الصغيرة التى اعتز بها ايضا دورى فى فيلم « ابى فوق الشجرة » الذى اخرجه حسين كمال . . لقد أديت فى ذلك الفيلم دور والد البطل (**عبد الحليم حافظ**) . . وما زلت اذكر ذلك المشهد الذى صورناه فى لبنان . . وكان مفروضا ان اصفع عبد الحليم على وجهه ـ بحق الابوة . . وبدافع الخوف عليه . . وبعد تصوير المشهد قلت لعبد الحليم حافظ ملاطفا ومداعبا . .

— اوعى يا حليم تشوف لك اب تانى غيرى . .

وكنت قد ظهرت ايضا كاب لعبد الحليم فى فيلم (الخطايا) الذى اخرجه حسن الامام . . وما زلت اذكر ذلك اليوم الذى كنا ننهى فيه المشاهد الاخيرة من فيلم (ابى فوق الشجرة) داخل استوديو الأهرام . . دخل عبد الحليم غرفتى

وصافحنى بحب .

— انا مسافر لندن يا استاذ عماد . . مش عايز حد يعمل ابو يا غيرك فى الفيلم الجديد . . ده اتفاق بيننا . .

قلت ضاحكا - وانا موافق

وقال عبد الحليم - إن شاء الله الفيلم الجاى حنكون فيه مع بعض . . هناك فكرة فيلم جديد سيجرى تصويره فى لندن . . اتفقنا

قلت - اتفقنا . .

لكن القدر تدخل . . وافسد الاتفاق . . كان عبد الحليم يفكر فى تصوير فيلم جديد فى لندن . . وشاءت الظروف ان يذهب الى لندن بعد سنوات ويعود منها جثة هامدة . . ونستقبله بالدموع والاحزان . . لقد ظلموا عبد الحليم كثيرا . . قالوا انه يدعى المرض . . لكنه كان يتحمل ويتالم فى صمت . . ويبتسم فى وجوه الناس وهو يكابد متاعب وآلام المرض . . كم نحن قساة . . قساة جدا .

. . والقيت الجائزة فى الخرابة

بدأ التليفزيون يغرينى بالتعامل معه . . أصبح منافسا خطيرا للسينما فى معظم بلاد العالم . . حتى فى امريكا وفرنسا وانجلترا والمانيا . . ولم يكن معقولا ان ارفض التعامل مع صديق كل اسرة . . ورفيق كل بيت . . وأنيس الكبير والصغير . . وسافرت مرات عديدة للمشاركة فى بطولة مسلسلات تم تصويرها فى الخارج . . لكنى اعتز بشكل خاص بدورى فى مسلسل (**سليمان الحلبى**) . . وبدورى فى مسلسل (عيلة الدوغرى) الذى اخرجه يوسف مرزوق الذى عرفته انسانا ملتزما . . وفنانا مهذبا . . يتميز باخلاقه العالية . . وذات صباح . . وبينما كنت نائما بغرفتى بأحد فنادق دبى دق جرس التليفون . . فرفعت السماعة مندهشا . . لم تكن الساعة قد تجاوزت السابعة صباحا . . وأنا لا احب المكالمات التليفونية التى تأتى على غير توقع فى الاوقات المبكرة جدا من الصباح . . او فى الساعات المتأخرة من الليل . . عادة ما تحمل انباء غير سارة . . ولا تأتى الا بالمفاجآت . . لطفك يا رب . .

قلت - آلو . .

وسمعت صوتا خليجيا يقول :

— مبروك يا استاذ عماد . .

قلت متسائلا - خير ؟

قال - خدت جايزة عالمية . .

قلت ـ الله يبارك فيك .

ثم وضعت السماعة . . وبدأت استعد للنوم من جديد . . قلت ربما كان نوعا من المزاح الثقيل الذى يتعرض له المرء احيانا . . او ربما تكون مداعبة بريئة من شخص لا يريد ان يكشف لى عن شخصيته . . ولم اغادر الغرفة الا فى العاشرة صباحا . . لكنى وجدت مجموعة من زملائى العاملين معى فى المسلسل متجهين نحوى مصافحين . . ومهنئين . . ومشيرين بفرح غامر إلى بعض الصحف التى يحملونها . . وبدأوا يذكرون لى تفاصيل الخبر السار . . لقد فزت بجائزة عالمية من مهرجان القاهرة السينمائى الدولى . . كل أعضاء لجنة التحكيم من الأجانب . . المصرى الوحيد فى اللجنة هو المخرج **كمال الشيخ** . . رئيس اللجنة لم يكن يعرف كيف يقرأ اسمك . . ممدوح الليثى استلم الجائزة نيابة عنك لعدم وجودك فى القاهرة . . كانوا سعداء جدا . . وبدأ كل واحد منهم وكأنه هو الذى حصل على الجائزة . . وفرحت لفرحهم . . وشعرت فى تلك اللحظة بأنى وسط اخوانى وأهلى . . الجوائز تشعر الفنان بأنه موجود . . وبأن هناك من يقدره . . من يراه ويسمعه . . من يقدر الجهد الذى يبذله . . فأشد ما يؤلم الفنان ان يكتشف يوما بأن أحدا لا يشعر بما يقدمه من فن وجهد ومعاناه . . وعندما تجىء الجوائز فى الوقت المناسب تكون راحة للنفس . . وشفاء للروح . ودواء لكل الآلام . لكنها احيانا ما تجىء فى الوقت غير المناسب . . فى الوقت الضائع فتزيد تعاسة صاحبها . . هذا الموقف عشته وجربته . .

كنت قد حصلت على جائزة كبيرة جدا تقديرا لأدائى ولجهودى المتواضعة . . جائزة أدبية على هيئة تمثال جميل الشكل . . عظيم القيمة . . تسلمتها من شخصية كبيرة جدا . . لكنى تسلمت الجائزة بلا فرح . . جاء الفرح فى لحظة لم أكن مهيأ فيها لاستقباله .. جاء الفرح فى وقت صعبت فيه ابتسامتى . . كنت أمر وقتها بظروف مادية صعبة ترتبت على حالة الكساد السينمائى التى كانت سائدة فى وقت من الاوقات . . حملت الجائزة وانا أشعر بالتعاسة . . من الخارج أحاول ان ابتسم . . وفى داخلى حزن لا يوصف . . ما معنى الجائزة وليس فى بيتى طعام يكفينى انا وأسرتى ؟ الفنان قبل كل شىء انسان يريد ان يعيش حياة كريمة . . ووجدت نفسى القى بالجائزة القيمة من النافذة فى أقرب (خرابة) . . وبدون أى شعور بالندم !

وقبلت أخى . . قبلة الموت

خرجنا معنا للدنيا فى لحظة واحدة . . واجهناها معا . . توأمان . . شبيهان فى كل شىء . . **يربطنا (خلاص)** واحد . . حالة معروفة علميا باسم « **Identical** » . .

التشابه بيننا يصل الى حد التطابق . . الملامح الخارجية متطابقة . . وطريقة التفكير ايضا متطابقة . . انا جزء منه . . وهو جزء منى . . نحن الاثنان نكمل بعضنا البعض . . وجهان بملامح واحدة . . وعقلان بتفكير واحد . . تلك كانت علاقتى القوية جدا بأخى « عبد الرحمن » الذى عاش حياته فى مجال السلك الدبلوماسى - وزيرا مفوضا - تنقل فى بلاد كثيرة وعاد اكثر من مرة الى الهند . . والاتحاد السوفيتى . . وتشيكسلوفاكيا . . كنا متشابهين فى كل شىء . . حتى فى عدم استقرارنا فى حياتنا الزوجية . . وعندما أحيل للمعاش كان يحلو له ان يقضى أغلب الايام عندى . . نجلس لنتكلم . . ونتساير . . ونلعب (الكوتشينة) فإذا غلبنى يشعر انه فاز على نفسه . . وأذا غلبته أشعر كأنى فزت على نفسى . . ثم يعود الى بيته فى المساء . .

وعندما داهمتنى متاعب القلب . . ونصحنى الاطباء بضرورة البقاء فترة فى معهد القلب لاكون تحت رعاية واشراف الاطباء المتخصصين . . كان أخى عبد الرحمن معى دائما . . يسأل عنى ويتابع حالتى . . ويرفع من معنوياتى . . وحدث مرة انه كان مضطرا للذهاب الى الشقة فى غيابى . . ليساعدنى فى الاشراف على ترتيبها واعدادها استعدادا لزواج ابنى نادر . . لكن نادر فوجىء بعمه الدبلوماسى الوقور . . الرزين . . ينفجر باكيا . . وحاول نادر ان يعرف من عمه سر بكائه ونحيبه . . لكنه لم ينجح فى منع دموعه التى سالت غزيرة . . حارة . . على وجنتيه . .

— مالك يا عمى ؟

— . . . . . .

— فيه حد مزعلك ؟

— . . . . . .

— اكيد انا اللى مزعلك .

— بابكى يا نادر . . لأن دى اول مرة ادخل البيت وابوك مش موجود فيه .

وحكى لى نادر ما حدث . . وحكى لى أيضا عن الآمه . . وهو مندهش . .

— لم اكن اعرف ان عمى بيحب بابا بالطريقة دى .

فقلت لابنى نادر الجالس بجانبى فى معهد القلب . .

ساحكى لك يا نادر موقفا غريبا انا شخصيا ما زلت حائرا فى تعليله وتفسيره . . ربما استطعت انت ان تفسره لى .

حدث ذات مرة ان وجدت فجأة كيسا دهنيا فى هذا المكان من رقبتى . . لم اهتم فى البداية . . وقلت ربما زال غدا او اختفى بعد أيام . .

وفى اليوم التالى وعندما جاء عمك عبد الرحمن . . لاحظت اثناء انشغاله بخلع

ملابسه . . لاحظت وجود كيس دهنى مشابه للكيس الدهنى الذى اكتشفته على رقبتى . . بل وموجود أيضا فى نفس المكان من الرقبة فقلت له :

— انت عندك كيس دهنى زى اللى عندى .

قال - ايوه

ثم اضاف قائلا :

— لا تشغل بالك . . دى حاجة بسيطة . . مفيش منه ضرر . .

ولم اقل شيئا بعد ذلك . . وذات مرة ذهب الى جراح كان من اصدقائه الذين يلعب معهم (الطاولة) . . ولاحظ صديقه الجراح وجود الكيس الدهنى . . وقال لأخى عبد الرحمن . . كيف تترك هذا ؟ لابد من اجراء عملية . . ويبدو ان صديقه الطبيب قد نجح فى اقناعه . . وازال له فعلا الكيس الدهنى .

وبدأ اخى عبد الرحمن يقنعنى بضرورة ازالة الكيس الدهنى المشابه الموجود فى نفس المكان من الرقبة . . واخبرنى بوجهة نظر صديقه الطبيب الجراح . . قلت . .

— (إن شاء الله . . بس لما افضى شتوية)

لكن المفاجأة التى اذهلتنى كانت اختفاء الكيس الدهنى الذى كان على رقبتى . . اختفى مع اختفاء وازالة كيسه الدهنى . . ظهر الكيسان الدهنيان عنده وعندى فى وقت واحد . . ثم اختفيا ايضا فى وقت واحد . . أقسم بالله العظيم هذا ما حدث بالضبط . . بعد أربعة أيام فقط من ازالة الجراح لكيسه الدهنى . . اختفى الكيس الدهنى المشابه عندى . . كيف يمكن تفسير ذلك علميا وطبيا ؟

واشفقت على ابنى نادر المندهش . . فهو مثلى سيعجز عن تعليل ما حدث . . لكننى بشكل عام كنت اشاركه حالته المرضية . . وهو ايضا كان يشاركنى حالتى المرضية . . حتى لو كان بعيدا عنى بالآف الاميال . .حدث مرة وكنت ايامها متزوجا من شادية . . حدث انى اصبت بانزلاق غضروفى . . لدرجة انى كنت ازحف من شدة الألم وقلة القدرة على الحركة . . وبعد ايام قليلة جاءنى خطاب من اخى عبد الرحمن الذى كان ايامها مقيما فى الاتحاد السوفيتى قال فى خطابه : (أننى اشكو هذه الايام من حالة انزلاق غضروفى . . تصور انى ازحف زحفا من شدة الألم . . ومن قلة القدرة على الحركة) .

على اى حال ـ هذه حالة معروفة علميا باسم (**Telepathy**) اى تبادل الخواطر والشعور . . وكأن هناك اتصالا لاسلكيا بين العقلين . . وبين الجسدين . . وهناك حالات اخرى معروفة . . الكاتبان الصحفيان الكبيران مصطفى أمين وعلى أمين . . وزكريا عبد الفتاح وتوفيق عبد الفتاح . . ولذلك اصابنى الرعب عندما داهمتنى

متاعب القلب . . خشيت ان يحدث لقلبه ما حدث لقلبى . . وطلبت منه لدرجة الالحاح ان يفحص قلبه لكى يطمئن . . ولكى اطمئن انا ايضا . . ولم اهدأ الا بعد ان فحصه الدكتور عوض مرتين . . وقال له (**قلبك قلب واحد بيلعب حديد** . . لكنى لم اصدق الطبيب .

(**ارجوك يا دكتور . . قول لى الحقيقة**)

فيؤكد الطبيب من جديد ان قلب أخى عبد الرحمن مثل الحديد .

وذات يوم - وبينما كنا نلعب كالعادة (**الكوتشينة**) فى شقتنا . . توقف فجأة عن اللعب قائلا :

— **حاسس انى متضايق . . التنفس مضايقنى**)

واخذته فورا الى معهد القلب مرة اخرى . . وفى الطريق الى امبابة كنت ادعو الله هامسا ان يبعد عن قلبه متاعب قلبى . . ان يحميه من كل مكروه . . ذلك القلب الطيب الذى تحمل آلامى . .

كان يوم شم النسيم . . ولم يكن الدكتور عوض موجودا بالمستشفى ولأنى (زبون قديم) فى معهد القلب . . فقد اهتم الطبيب النوبتجى وبدأ فحص أخى . . لكنه كان فحصا ظاهريا . . وبعد انتهاء الفحص قال :

— **مفيش حاجة . . قلبه طبيعى** .

واثناء عودتنا الى بيته - قلت لأخى عبد الرحمن :

— **اطمئن . . ساخذك للدكتور عوض بعد الظهر . . حتى تطمئن اكثر**

وخلع اخى عبد الرحمن ملابسه . . وقال لى ساستريح قليلا . .

وفضلت ان اتركه يستريح . . على ان اعود له بعد ساعتين لاصطحبه معى للدكتور محمد عوض . . وما ان وصلت لمسكنى . . وقبل ان افتح الباب . . سمعت رنين التليفون . . ودق قلبى المتعب دقات خائفة مذعورة . . واسرعت رافعا السماعة . . وسمعت من يقول لى :

— **أحضر معك انبوبة اكسوجين . . أخوك تعبان** .

وبسرعة عدت الى هناك من جديد . . الى بيت اخى الذى تركته منذ قليل . . ووجدت حوله بعض الاطباء من جيرانه . . واصابنى الوجوم عندما رأيتهم يدكلون قلبه .

وقال لى احد الاطباء (انفخ فى فمه) . . واندفعت نحو اخى . . ووضعت فمى على فمه . . شفتاى على شفتيه . . وبكل ما تبقى فى من قوة نفخت . . لكنها كانت (قبلة الموت) . . القبلة الأخيرة . . قبلة الوداع . . يا لسخرية القدر . . هو صاحب القلب السليم . . يموت قبلى انا صاحب القلب العليل . . فلتبك

يا قلبى . . فلتنزف دموعا . . ودما . . وحسرة . . لقد رحل اعز الأعزاء . . واحب المحبين . . كيف تستمر حياتى بدونه . . بدون نصف عقلى . . ونصف روحي . . ونصف قلبى ؟

الفصل التاسع

واحترق المشهد الأخير

بعد رحيل اخي التوأم عبد الرحمن . . لم اعد متمسكا بالحياة . . ولا راغبا فيها . . السهر خارج البيت لم يعد يستهويني . . وحتى حياة الاستديوهات لم تعد تسعدني وتشجيني . .

اصبحت اميل للوحدة والانطواء . . افضل الانفراد بنفسي . . لأكون المتفرج الوحيد على شريط الذكريات الذى لا يتوقف . . شريط يحوى كل المفارقات . . وكل الغرائب . . والاعاجيب . . احداث لو شاهدناها فى الافلام لما صدقناها . . ولقلنا أن كاتب القصة يميل الى المبالغة . .

أن الواقع يكون احيانا اغرب من الخيال . . احداث اطول فيلم تمر امامى . . احداث حياتى . . لحظات القوة . . ولحظات الضعف . . ايام الثراء . . وايام البؤس . . ليالى السهر والصحبة . . وليالى الاكتئاب والوحدة . . ذهبت الى اكثر من طبيب . . لم اعد اشكو فقط من قلبى العليل . . فقد اصبح جسمى الهزيل هدفا لكل الامراض . . أصبحت اعانى من حالة اكتئاب نفسى لا اعرف متى ستنتهى . .

كان أخى الأكبر عبد الرحمن يمرض اذا مرضت . . ويشفى اذا شفيت . . يفرح عندما افرح . . ويحزن عندما احزن . . كان يشعر بآلامى حتى لو باعدت بيننا الاف الاميال . . توأمان متشابهات فى كل شىء . . حتى فى عدم استقرارهما العائلى . . لم يعرف الاستقرار فى حياته الاسرية . . وأنا أيضا لم انعم ابدا بذلك الاستقرار العائلى . . ولم يخالفنى الا مرة واحدة عندما ترك الدنيا قبلى . . وتركنى وحدى !

اللهم لا اعتراض . . هذه حكمتك . وهذه ارادتك . . وماذا يملك المخلوق الضعيف امام مشيئتك ؟

لم يكن مجرد اخ . . بل كان جزءا من كيانى . . اننى اتخيله كالعادة قادما بابتسامته الطيبة . . ومرحه المعهود . . وكلماته المخلصه التى تريح النفس . . ثم ننشغل بلعب الطاوله . . ولا نتوقف عن الحديث . . يحكى لى متاعبه . . واحكى له

متاعبى . .

كان صديقى فى زمن أصبحت فيه الصداقه المخلصة نادرة الوجود . . وكان يجيد قراءة افكارى . . يكفى أن ينظر إلى وجهى حتى يعرف ما يشغلنى ويضنينى . . فكيف لا يلازمنى الاكتئاب من بعده ؟ وكيف لا اصبح زاهدا فى الحياة كلها ؟

ويبدو أن الصدمات الكبرى تحصن الانسان ضد الألم . . تمنحه المناعه . . فيتقبل الصدمات الجديدة باندهاش أقل . . وبتماسك اشد . . وهذا ما حدث معى . . فلم يكن يمر عامان على رحيل أخى التوأم عبد الرحمن . . حتى لاحق المرض المفاجىء أخى (رءوف) الاصغر . . كان من افضل ضباط الشرطة فى مصر . . ومن أكثرهم نزاهه . . وكانت تلك ايضا شهادة كل الذين احتكوا به وعملوا معه . . لا اتحدث عن اخلاقه العاليه لمجرد أنه أخى . . لا أشيد بنزاهته لاسباب عاطفية . . لكن هذه حقيقة يعرفها كل الذين عملوا معه فى اسيوط عندما كان مديرا للأمن . .

بدأ أخى رءوف يشعر بآلام مفاجئه . . وشخص الاطباء حالته على أنها حصوة فى المرارة . . لكن الآلام بدأت تشتد اكثر وأكثر لدرجة لم يعد يتحملها . . وقرر الاطباء اجراء عملية فتح بطن له ليعرفوا مصدر تلك الآلام . . لكنهم بمجرد أن فتحوا بطنه اغلقوها فى الحال . . كان المرض الخبيث الذى لا يرحم قد تملك منه وانتشر فى كل مكان . . وبعد اجراء العمليه توفى اخى رءوف . . واستراح من كل الآلام . . توفى بعد عامين فقط من وفاة اخى التوأم عبد الرحمن . . وتتراكم الاحزان فى صدرى . .

ولم يعد باقيا من اخواتى غير اخى (محمود) . . وكان يعمل مهندسا بشركة طيران قبل احالته الى المعاش . . بالاضافة الى اخى الأكبر الذى يعيش فى مستشفى الأمراض العقلية منذ ثلاثين عاما . . أنه ليس من النوع الخطر الذى يخشاه العقلاء . . بل هو انسان هادىء ووديع . . كان عاديا وطبيعيا قبل أن تجذبه كتب السحر والارواح . . وانشغل كثيرا بعالم الارواح . . ويبدو ان الارواح الشريرة قد مسته وإصابته . . بل وتملكته تماما لدرجة افقدته توازنه . . لقد هرب أخى الأكبر مرتين من مستشفى الامراض العقلية . . وفى كل مرة كنت احاول اقناعه بأن يعود من جديد الى هناك خوفا واشفاقا عليه من الناس . . كان اخى الأكبر مثاليا . . بل كان اكثرنا طيبه . . والجميع عرفوه خدوما . . يسعى دائما لخدمة الأخرين عندما كان موظفا بادارة السكك الحديد . . وقبل أن ينجذب . . بشدة الى عالم السحر والارواح . . كان يستعد للزواج . . لكن الظروف لم تساعده على ذلك . . مسكين اخى الأكبر . . لكن رغم كل ما جرى له فهو يسعد ويفرح عندما يرانى على شاشة التليفزيون . . بل ويكون فخورا بى . .

أما اختى الصغيرة فقد ماتت صغيرة السن . . كانت جميله جدا . . ولم تكن بدينة الى الدرجة التى تجعلها حريصه على عمل (الرجيم) القاسى . . ورغم ذلك لجأت إلى محاولات التخسيس غير الطبية . . فأصيبت بحالة ضعف ادت بها فى النهاية الى الاصابة بمرض صدرى . . وحاولنا انقاذها فى مستشفى حلوان . . لكن المرض كان أقوى منها . . ومنا . . !

هكذا داهم الخريف شجرة العائلة . . فبدأت اوراقها تجف وتسقط واحدة بعد الأخرى . . ووسط حالة الاكتئاب ـ بقيت انتظر سقوط ورقة اخرى من شجرة عائلتنا . . ورقة عتيقة أصابها الوهن والجفاف . . ورقة فقدت اخضرارها . . واصبحت شاحبة اللون . . واصابها الاصفرار . . واصبحت اترقب سقوطها بين لحظة واخرى . . ورقة اسمها عماد حمدي .

وكان اخر ادوارى . .

اتصل بى المخرج السينمائى الجديد عاطف الطيب الذى رشحنى للمشاركة فى تمثيل فيلم (سواق الاتوبيس) . . اعجبتنى قصة الفيلم . . ودور الأب الذى سأوديه . . والمعنى الهام الذى يؤكده الفيلم (الوفاء) الذى اصبح نادرا فى هذا الزمان . . العلاقات الأسرية التى فقدت حرارتها وأصالتها . . العلاقات الانسانية التى تضيع وتختفى وسط عالم مشغول فقط بالماديات . . كل انسان اصبح جزيره منفصله . . عالما مغلقا . . كل انسان يرى فقط مصالحه الخاصة . . ومن أجل تحقيق المصالح الشخصية يهون كل شيء . . ووسط ذلك العالم المادى المشغول بجمع المال ضاع احترام الابناء لآبائهم . . وضاع حب الاخ لأخيه . . الجشع والطمع كادا يقتلان كل العواطف الاسرية والعلاقات الانسانية . . يحاول الابن فى ذلك الفيلم أن ينقذ والده من الافلاس . . لقد عاش الوالد العجوز شبابه وكهولته داخل مستودع الاخشاب الذى يعرضونه للبيع فى المزاد . . ترك فيه كل ذكريات الماضى . . وكل آمال المستقبل . . ويحاول الابن الوفى (سواق الاتوبيس) أن ينقذ أباه . . فيسرع الى بقية الأهل والأقارب مستنجدا بهم طالبا معونتهم . . لكن احدا لم يهتم . . لم تهز ضمائرهم مأساة الأب المسكين . . وانشغلوا بالصفقات التجارية . . دون أن يعرضوا المساعده . . لكن الابن الوفى البار لا ييأس . . ويستميت حتى ينجح فى النهاية فى احضار المبلغ المطلوب لانقاذ مستودع الاخشاب من البيع فى المزاد . . وفى اللحظة التى يدخل فيها غرفة الاب لكى يسلمه دليل الوفاء يفاجأ بأن الأب قد مات . . فارق الحياه وهو يشعر بجحود اهلها . . وقلة وفائهم . . وانعدام انسانيتهم . . فقتلته الصدمه . .

اعجبنى المغزى الانسانى الذى يقدمه الفيلم (الوفاء المفقود فى عالم مادى جدا ضاعت منه كل القيم الانسانية) . . ورغم شعورى بالاجهاد والارهاق أثناء فترات التصوير . . الا انى كنت احاول أن اتماسك حتى ينتهى التصوير على خير . . وتحاملت على نفسى حتى صوروا المشهد الاخير الذى اظهر فيه . . المشهد الذى اظهر فيه ميتا . .

والعجيب انه كان يلازمنى شعور غامض بان هذا المشهد سيكون آخر مشهد اؤديه . . وآخر مشهد اظهر فيه على شاشة السينما : . مشهد رجل يموت ويودع الدنيا آسفا على ضياع الوفاء . . ومتحسرا على انهيار العلاقات الانسانية . . ومصدوما من انشغال الناس بجمع المال لدرجة الجنون . . كان يلازمنى شعور غامض باننى اؤدى آخر ادوارى . . وبأن فيلم (سواق الاتوبيس) سيكون آخر الافلام التى اشارك فى تمثيلها . . لكن حدث بعد ذلك أن رشحنى المخرج على عبد الخالق للمشاركة فى تمثيل فيلم (العار) الذى اعجبنى فكرته وقصته . . وتحاملت على نفسى وذهبت الى الاستديو . . لكن شعورى بالارهاق كان يزداد . . ورغم ذلك تماسكت بقدر الامكان . . فالحقيقة انهم اخجلونى برقة مشاعرهم . . لدرجة ان كاتب القصة والسيناريو (محمود ابو زيد) كان من شدة تهذيبه يوصلنى إلى بيتى . . ويعاملنى بأدب زائد . . وقلت لنفسى - انهم يعرفون حالتى الصحية المتدهورة . . هذا سر عنايتهم الفائقة بى . . وبصراحة بدأت اشعر بالخجل من كثرة عنايتهم بى . . وحرصهم الزائد على راحتى اثناء احضارى الى الاستديو - أو عند اعادتى الى البيت . . ومر أول يوم من ايام التصوير بسلام . . ورغم حالتى الصحية المتدهورة فقد اديت المطلوب منى . . لكن كانت المفاجأة فى اليوم التالى . . ان الجزء الذى تم تصويره احترق فى المعمل . . وكان . . لابد من إعادة التصوير مرة أخرى . . لكنى قلت لهم :

— انا أسف ياجماعة . . مش حاقدر اكمل

— قالوا - وما الحل ؟

قلت - شوفوا ممثل تانى . . مش قادر اكمل .

وبالفعل اختاروا ممثلا آخر غيرى . . وكانت تلك آخر مرة ادخل فيها استديو وبلاتوهات السينما . .

لقد صدق احساسى . . وكان المشهد الذى اموت فيه اثناء تصوير فيلم (سواق الاتوبيس) هو آخر مشاهدى السينمائية . .

ما معنى ذلك ؟

آخر ادوارى رجل عجوز يودع الدنيا أسفا على اختفاء الوفاء وآخر مشهد

اؤديه فى فيلم (العار) احترق قبل ان يراه الناس . . وكأنني انا الذى احترق . . واختفى . . مودعا عالم السينما . . مودعا الأضواء التى تحرق كل الفراشات التى تحوم حولها !

واصبح التليفزيون رفيق وحدتى . . ومؤنس وحشتى . . ماذا يفعل عجوز متهالك مثلى مرهق القلب والعقل . . ماذا يفعل غير متابعة ما يقدمه التليفزيون من ذكريات بعضها افرحنى وادخل السكينة على قلبى المريض . . وكم كانت سعادتى عندما شاهدت فيلم (ست البيت) الذى اخرجه احمد كامل مرسى عام ١٩٤٧ . . هذه ذكريات الماضى تطل من خلال الشاشه الصغيرة . . فتنسينى امراضى . . وتخفف من شعورى بالاكتئاب النفسى

زينب صدقى . . وفاتن حمامه . . وأنا . . ومشكلة من المشاكل الواقعية من الحياة داخل بيوتنا . . والصراع ما بين الزوجة والحماه . . من منها ستكون (ست البيت) . . كنا قد صورناه فى استديو ناصيبيان . . وهو من الافلام التى لم تعتمد على الميزانيات الضخمة التى تخصص للأفلام الجديدة . . اعاد لى فيلم (ست البيت) كل ذكرياتى الطيبة مع المخرج الكبير احمد كامل مرسى الذى كان مشهودا بامتيازه فى عمله كمخرج . . وكان مشهودا له ايضا بطيبة قلبه . .

لكن مشاهدة التليفزيون اصبحت تعذبنى . . ليس لأنها تعيد الى الذكريات القديمة . . ولكن لانى لم اعد قادرا على الرؤية . . وكان لابد ان استشير اطباء العيون وذهبت للدكتور صيام . . وهو صديقى قبل أن يكون طبيبى . .

قلت له ـ مش قادر أشوف بعينى . .

قال ضاحكا ـ بلاش مبالغة . .

لكن ابتسامته تبددت عندما انتهى من فحص العينين ونظر نحوى قائلا :

— انت عندك ميه بيضة فى عينك .

— قلت ـ اعمل عمليه . .

لكنه قال ـ نسيت ان عندك القلب .

فقلت له مكملا ـ وحصل لى كمان جلطه فى المخ . .

وقال الطبيب ـ ممكن تعمل عمليه العين تحت اشراف دكتور القلب . . ولو أن هذه ايضا نتيجتها غير مضمونه . . انا افضل ان نتركها كما هى . .

لكنى قلت له ـ على العموم انا مش حالحق اعمل عمليه . .

فقال الطبيب ـ دى حاجة بتاعة ربنا . .

وعندما عدت الى البيت حاولت أن اقنع نفسى بأن كل ما يقدمه التليفزيون ليس سارا

ومبهجا . . بل أن هناك بعض المكدرات التى تدفع الى الغيظ والتوتر العصبى . . والمفروض أن اعيش بقية ايام حياتى بدون توتر عصبى . .

لقد لاحظت مثلا من اعلانات الافلام الجديدة اشياء عجيبة يكفى مثلا ظهور اغلب الممثلين فى لقطات ومشاهد وهم يرتدون الملابس النسائية . . ويضربون بعضهم البعض من أجل اضحاك المتفرجين . . بل ان مخرجا كبيرا وقديرا مثل بركات قد انضم لصانعى تلك الافلام العجيبة التى انتشرت هذه الايام انتشارا مزعجا . . ولم أعد حزينا لانى بدأت افقد بصرى ولعدم قدرتى على مشاهدة ما يقدمه التليفزيون . . الافضل الا أرى شيئا يزعجنى ويكدرنى . . فى هذه الحالة يصبح ضعف البصر نعمة كبيرة . . لكن الشيء الذى يحزننى اننى فقدت استمتاعى بالقراءة التى تعتبر احدى هواياتى . .

أصوات من الماضى

تفرق الاصدقاء . . وما عادوا يسألون عنى . . من سيتحمل مريض القلب الذى فقد شبابه . . وحيويته . . وضحكاته . . ولم يعد قادرا على الابتسام . . من سيتحمل انسانا يشكو الاكتئاب النفسى . . لكنى الآن لا امتلك شيئا حتى هذه الشقة المتواضعة التى اسكن فيها تجلب لى المتاعب ايضا . . لقد تركت لنادية الجندى شقة تمليك فى الزمالك . . مكونه من تسع حجرات كانوا أصلا شقتين ضممناهما إلى بعضهما . . وجهزتها بأفخر الاثاث احضرت له ورق الحائط وقماش التنيجد من الخارج . . ولم ابخل عليها بشيء . . وضعت بعد ذلك كل ما معى من مال فى فيلم انتجته لتكون هى بطلته (بمبه كشر) وخرجت من البيت وانا لا امتلك شيئا سوى حقيبة واحده بها بدلتان . . خرجت بلا شيء . . لكنها مع ذلك لا تريد أن تتركنى اعيش بقية ايامى فى هدوء . . تأتى الى هنا لتتشاجر معنا . . وتلمح بأنها يمكن أن تستولى حتى على هذه الشقة المتواضعه التى اسكن فيها مع ابنى وزوجته وامه واولاده . . تلمح انها يمكن ان تستولى عليها لابنها . . اقصد ابننا (هشام) . . الا يكفيها كل ما تركته لها راضيا . . لكن الله موجود . . الله الذى اعطانى كل هذا لأعطيها ممكن ان يأخذه . . لقد حاولت المستحيل لكى اخلق (حاله سلام) بين ابنى من زوجتى الاولى فتحية شريف (نادر) وبين ابنى (هشام) من نادية الجندى . . لكن محاولاتى كانت تبوء بالفشل . . لأن الام تلعب دورا مهما فى تلك الحالات . . الام العاقله تنصح ابنها بأن يكون عاقلا . . وحريصا على علاقته بأخيه . . ولا تملأ قلبه حقدا . . ولا تنمى فيه نزعة الكراهية . . لا تشحنه باستمرار بالكلام المستفز . . فتدفعه للاحتكاك الدائم

بأخيه . . فيضيع معنى الاخوه . . لكن ابنى (نادر) كان واعيا ومدركا لما يحدث حوله . . ويعرف أن المشاجرات المفتعله لن تنسيه ان له اخا من ابيه يجب ان يحرص عليه . . يسترضيه اذا غضب . . ويقترب منه اذا تباعد . . ويبقى بجانبه اذا مرض . .

حاول ان تستفيد يا بنى مما حدث لى الآن . . الا تجد فيه العبره ؟ انفض من حولى كل الاصدقاء . . الجميع تركونى . . ولو كان اخى الاكبر فى حالته الطبيعيه . . ولو كان اخى التوأم موجودا . . ولو أن اخى الاصغر رءوف على قيد الحياه . . ما كنت شعرت بتلك الوحده القاتله . . انك يا ابنى نادر لا تستطيع ان تبقى طول النهار بجانبى . . انت جديد فى عملك . . ولا بد أن تثبت وجودك وكفاءتك كمصور فى وكالة انباء الشرق الأوسط . . غير معقول يابنى ان تتخلى عن عملك . . وعن حياتك الخاصه . . لكى تتفرغ لى . . لا تهمل عملك . . لا تضيع وقتك . . انا لا احتاج شيئا . . كما ترانى ابقى طول النهار ممددا فوق سريرى . . فى سنين الصحة والعافية كنت املأ البيت حركة ومرحا وحياه . . بل وكنت احرص على دخول المطبخ لأتفنن فى اعداد الاطعمه الشهيه . . كانت هواية ايضا من هواياتى الأخرى القراءة وتربية الخيول وصيد السمك . لكنى الآن غير قادر على الوصول الى باب المطبخ الا بصعوبة ومشقه . . . واين هى المعدة السليمه التى تتحمل وتستقبل تلك الاطعمه . . واين هى الرغبة فى تناول الطعام . . اذا كنت قد فقدت الرغبه فى الحياه . . فكيف اغشك بالرغبة فى الاكل . . اقول ذلك كله لابنى نادر . . لكنى اشعر بأنه غير مقتنع . . قلبه لايطاوعه . . وفاؤه لابيه يمنعه من الغياب الطويل . . يعرف انى اصبحت فى حاجه الى المساعده . . والمسانده . . فى زمن عز فيه الصديق . . وقلت فيه المروءة . . ولم اعد اسمع غير كلمات المواساه التى تأتينى عبر اسلاك التليفون الذى نادرا ما يدق ويناديني كما كان يحدث ايام المجد والصحة والثراء . . كان رنينه لا ينقطع . . يشعرنى بأنى حى . . وبأن الناس يذكروننى . . لكن التليفون اصبح صامتا بجانبى . . قليل الرنين . . وكأنه يرثى لحالى . . يشاركنى صمتى ووحدتى . . ها هو التليفون اخيرا تعود اليه الحياه . . يعود اليه رنينه القديم . . فيذكرنى بأنى مازلت حيا . . وارفع السماعه متوقعا أن اسمع صوتا لا اعرفه . . لتنتهى المكالمة بالعبارة التقليدية (النمرة غلط) . . لكنى سمعت صوتا نسائيا اعرفه . . صوت الزميله الفنانه مديحة يسرى . . رغم متاعبها الصحية والنفسية تحرص دائما على السؤال عن صحتى وأحوالى . . إنها هى التى تحتاج للمواساه بعد أن فقدت وحيدها (عمرو) من الفنان الراحل محمد فوزى فى حادث تصادم مؤلم ومحزن . . ذهب ابنها العزيز فى

ريعان شبابه . . وهو بطل مصر فى الكاراتيه . . كان قلبى الواهن معها . . لم اقدر حتى على رفع السماعه لاحادثها ولأواسيها . . هى التى تستحق المواساه . . انا عشت حياتى . . نجحت وفشلت . . كسبت وخسرت . . ضحكت وبكيت . . صبرت وتألمت . . عشت حياه عريضه عامرة بالاحداث . . عشت فى قلب الاضواء . . ثم عشت الايام التى انحسرت فيها الاضواء التى سلطت على آخرين . . هذه هى الحياه . . فمن يكتشف الدرس والعبرة ؟ لابقاء لشىء . . كل شىء يذهب ويزول . . المال . . والصحه . . ولا يبقى الا الذكرى الطيبه . . وأنا احمل للفنانه العزيزة مديحة يسرى كل الذكريات الطيبه . . اعاد الى صوتها الحنون كل الذكريات السعيده . . كل الدفء الذى افتقدته فى ابتعاد الاصدقاء واختفاء الخلان . . لكنى لا اعاتب . . ولا أوجه اللوم . . وأقول كان الله فى عونهم . . ربما كانت لديهم مشاغلهم . . وظروفهم . . الحياة لا ترحم أحدا . .

لقد شاركتنى مديحه يسرى افلامى الاولى . . مع فاتن حمامه طبعا . . لقد بدأت العمل السينمائى وانا فى الثلاثينات من عمرى . . لكن ظهورها معى فى الافلام كان مقنعا . . لقد قدمت مع مديحه يسرى افلاما كثيره اعتز بها . . لقد وجدت (الوفاء الضائع) فى صوت مديحه يسرى الحنون الذى يسأل عنى . . بينما هى احوج منى للسؤال . . لكن ايمانها بالله هو قوتها التى ستساعدها وستحميها فى مواجهة الصدمات التى تفاجئنا دون توقع او انتظار . . لقد اهتزت حياتى كلها لأنى فقدت توأمى عبد الرحمن . . فماذا تفعل هى ايضا التى فقدت وحيدها وهو فى ريعان الشباب ؟ الله معها . . يقويها ويصونها ويحميها . . صاحبة القلب الكبير . . مديحه يسرى . . التى تتذكر دائما وسط احزانها ان لها زميلا قديما اسمه عماد حمدى كان يتمنى أن يكون أول من يواسيها . . لكن قدميه تخذلانه . . وساقيه لا تقويان على حمله . . واصابعه المرتعشه اصبحت ترفع سماعة التليفون بصعوبة بالغة !

وحتى لا أكون جاحدا . . يجب أن اذكر شاديه التى عشت معها سنوات سعيده من عمرى . . ثم باعدت بيننا الايام والظروف . . هى الاخرى دائمة السؤال عنى . . وتتابع باستمرار حالتى الصحيه . . شادية كانت وما زالت . . وستظل دائما . . الانسانه الرقيقه . . وسابقى حتى آخر يوم فى حياتى اذكرها بالخير . . لقد شاءت الظروف أن نفترق فى منتصف الطريق . . لكن قلبها المتسامح لم يملأه الحقد أو الكراهيه . . وبقى صوتها وصوت مديحه يسرى يذاكرانى دائما بالعالم القديم الذى هويته وأعطيته كل وقتى وجهدى . . عالم السينما الذى جمعنا . . أن أجمل صفات الانسان فى رأيى (الوفاء) . . وقد شعرت بوفاء **مديحة يسرى** لزميل قديم

شاركها ايام النجاح الأولى . . وشعرت بوفاء شاديه لزوجها السابق الذى ابتعد عنها مرغما . . لكن تأثرى زاد عندما وجدت واحدا من الزملاء الذين لم اتعامل معهم عن قرب يتذكرنى ويسأل عنى . . الزميل (محسن سرحان) يحادثنى ليطمئن على صحتى . . الحقيقه تأثرت . . ربما لانى لا انتظر تلك المكالمة ولا اتوقعها . . (ازيك دلوقت ؟)

ونسيت جحود الآخرين . . وحادثنى محسن سرحان بعد ذلك اكثر من مره . . فازداد تأثرى وعرفانى . . وازداد ايضا حنينى للوسط الفنى الذى ابتعدت عنه . .

عــودة فتحـيه . .

واثناء فترة تواجدى فى مستشفى المعادى تحت اشراف الاطباء بعد (جلطة المخ) التى اصابتنى . . انعشتنى زيارة الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء السابق وابرز وانجح خريجى كلية التجارة . . جاء يسأل عن صحتى . . وليبلغنى بأن نقابة التجاريين قررت ان تمنحنى جائزة باعتبارى واحدا من خريجى كلية التجارة القدامى . . زيارة انعشتنى واعادت لذاكرتى المجهدة بعض ذكريات ايام الدراسة التى تبقى دائما اجمل الذكريات . . لأنها ايام الاحلام الوردية . . والآمال الكبيرة . . لكن حياتى كلها تبدلت وتغيرت فى اللحظة التى دخلت فيها استوديو مصر . . واصبح الباشكاتب خريج التجارة ممثلا . . ثم نجما لامعا . . ثم شهابا فقد الضياء . . ثم شبحا يوشك أن يختفى نهائيا من الحياه . .

واثناء تواجدى فى مستشفى المعادى لمست من جديد (شهامة) الزميله الفنانه تحيه كاريوكا . . كانت تعالج هناك من السمنه الزائدة التى لاحقتها بعد أن كانت ذات يوم من اكثر فناناتنا خفة ورشاقه . . لم تتركنى تحيه كاريوكا اعانى وحدى متاعب ايام الاصابه بالجلطه . . كانت الى جانبى . . تطعمنى بيدها . . وتتابع حالتى الصحيه ساعة بساعه . . وليس ذلك بغريب من تحيه كاريوكا . . فالشهامة من طباعها . . وكل الوسط الفنى يعرف ذلك . .

كانت دائما تقف الى جانب كل مريض . . وكل الذين تفاجئهم الكوارث غير المتوقعة . .

بعد فترة العلاج عدت من جديد الى شقتى المتواضعة . . انتظر رنين التليفون . . انتظر كلمه مجامله تشعرنى بوجودى . . وكالعاده عاد ابنى (نادر) من عمله . . لكى يسأل عنى . . ويعرفنى باخبار الدنيا . . فانا لم اعد قادرا على قراءة الصحف . . لكن ابنى نادر لم يكن وحده . . وكانت معه امه ـ

زوجتى الاولى (فتحيه شريف) . . لم تأت لكى تسأل عنى . . بل جاءت لكى تبقى الى جانبى ايامى الأخيرة فى الحياه . . ومن شدة تأثرى . . كدت ابكى . . ونظرت الى نادر معاتبا . . لماذا ياتادر تتعب امك . . خاصه وقد هاجمها مرض القلب ؟ لكنها قالت لى .

(من زمان وانا عايزه آجى ياعماد . . ازاى اسيبك وحدك فى الظروف دى . . من هنا ورايح ما تحملش هم . . احنا معاك . . جنبك على طول)

ولم اعد اشعر بأنى وحدى . . اصبحت اجد من يقدم لى كوب الماء . . ومن يساعدنى على الوقوف . . ومن يحمينى من الوقوع على الأرض . . ومن يخفف عنى آلامى . . زوجتى الأولى الوفيه (فتحيه شريف) التى شهدت معى ايام نجاحى الاولى . . عرفتنى والاضواء تغمرنى . . وجاءت تواسينى بعد انحسار الاضواء . . وابتعاد الاصدقاء .

هذا رصيدى . . وهذه تركتى !

اربعون ضيفا وضيفة دخلوا بيتى فجاة . . دون انتظار او توقع . . وفى يوم عيد ميلادى السبعين . . فاشفقت على قلبى من شدة المفاجاة . . ومن انفعالاتى التى لم انجح فى اخفائها . . ماأجملها تلك اللحظة التى يدق فيها باب انسان وحيد . . وعندما ينفتح الباب يجد أمامه من كاد يسىء الظن بهم . . من كان يتصورهم قد نسوه . . لم اعد قادرا على الذهاب اليهم . . فجاءوا هم الى . . تذكروا رفيقا قديما تخلف فى الطريق . . ولم يعد قادرا على استكمال الرحلة . . فتوقفوا . . وعادوا اليه . . يواسونه . . وينعشون قلبه المريض بدفء المحبه . . ونور الامل .

رحت احملق فى الوجوه التى لم ارها منذ فترة بعيدة . . المنتج المعروف مطيع زايد . . الكاتب الصحفى لويس جريس وزوجته الفنانه سناء جميل . . سهير رمزى ووالدتها . . أنور عبد الله وزوجته سعاد حسين . . يوسف شعبان والكاتب الصحفى مفيد فوزى الذى كان يحمل فى يده جهاز تسجيل . .

وبعد دخول الضيوف الأربعين . . دخل اربعة رجال يحملون (تورتة كبيرة) . . وخروفا مشويا . . وانواعا من الاطعمه . . وحتى الملاعق والشوك والسكاكين احضرها معهم الضيوف الذين لم اكن انتظرهم . . ولان المقاعد لم تكن كافية . . فقد جلس اغلبهم على الأرض . . التفوا حولى . . فبددوا وحدتى . . وفرت الكابة هاربة من جلسة الاحبة والخلان . . وتبادلت ابتسامة مع ابنى (نادر) . . كنا قبل قليل اربعة فقط . . ضمن احتفالنا الهادىء المتواضع . . نادر وزوجته . . وامه وزوجتى الاولى فتحية شريف . . وحفيدى عماد . . الذى جاءت بعده حفيدتى (مريم) التى ولدت يوم ٧ يناير فسميتها باسم السيدة العذراء مريم . .

ولكن بعد ان كنا اربعة . . اصبحنا اربعين . . وبعد ان كنا صامتين هادئين . . اصبحت الشقة صاخبة بالضحكات وبالتعليقات . .

وتذكرت عيد ميلادى السبعين الذى تصادف ان نشرت صحيفة (الجمهورية) خبرا عنه . . ويومها لم يتوقف رنين التليفون . . وسأل عنى زملاء لم يسألوا عنى ابدا من قبل . . السيدة زوزو نبيل مثلا . . والزميل حسن يوسف . . لكن تذكرهما لى . . والاضواء بعيدة عنى . . اسعدنى وأراح قلبى المريض .

وامتدت سهرة الاربعين ضيفا حتى الصباح . . كانوا لا يريدون أن يفارقونى . . وكنت لا اريد ان افارقهم . . لكن خوفهم من أن يرهقونى . . وخوفى من تعطيلهم . . انهى احتفال عيد ميلادى السبعين . . اذا كنت انا قعيد الفراش والمرض . . لا ينتظرنى عمل . . ولا تشغلنى مسئوليات . . فيجب الا تنسينى محبتهم بأن لهم اعمالا سيؤدونها فى الصباح . . وبينما كانوا يصافحوننى مودعين كنت اسأل نفسى ـ هل ياترى سنلتقى مرة اخرى ؟

وعدت من جديد لحياة الصمت . . والوحدة . . والاكتئاب . . ورغم المجهودات التى يبذلها ابنى نادر . . وزوجتى الأولى فتحية شريف . . ورغم ارتياحى لرؤية حفيدتى (مريم) . . الا أن شريط الذكريات لا يتوقف . . فيعيد الى ذاكرتى الاصدقاء والأطباء الذين كانوا قريبين من ايام النشاط . . والعمل . . والثراء . . ونسوا طريق بيتى . . ورقم تليفونى . . فى ايام العجز . . والوحده . . والاكتئاب . . هل اطلبهم وأعاتبهم . . لا . . لا . . سأحاول أن اجد لهم اعذارا . . سابحث عن مبررات تقنعنى . . ربما كانت موانعهم قوية . . وحتى لو لم تكن المبررات كافيه . . يجب أن اقتنع . . فأشد ما يعذبنى الجفاء . . ونكران الصديق . . ونسيان العزيز . .

الشيخ شعراوى . . على الباب

ولم تكد تمر ايام قليلة . . حتى جاءت المفاجأة التالية التى لم اكن اتصورها . . أن مجىء الاربعين ضيفا وضيفة يوم عيد ميلادى السبعين كان تصرفا محتملا . . فى امكانهم أن يحضروا اذا ما تذكروا . . واذا ما وجدوا لديهم الوقت لزيارتى . . وزيارة الفنانين لزميل قديم مريض تصرف طبيعى . . ومنتظر . . وليس مستغربا . .

لكن عندما دق جرس الباب هذه المرة . . لم يخطر ببالى ابدا ان يكون القادم هو (الشيخ محمد متولى الشعراوى) . . وبقيت مذهولا للحظات . . ولا ادرى ما اقول . . وكأنى لا أجد الكلمات التى لم تسعفنى فى الترحيب بالعالم الجليل الذى لا اعرف كيف جاء الى بيتى . . اننى لم اتشرف من قبل بلقائه . . وعادة لا يلتقى رجال الدين برجال الفن . . وآخر ضيف ينتظره الفنان هو رجل الدين . . فللا سف

هناك فكره خاطئه فى اذهان الناس عن الفنانين . . يتصوروننا نعيش فقط يومنا . . ننشغل فقط بالحفلات والسهرات التى قد تكون ماجنه . . ولا نفكر فى الخالق عز وجل . . ويتصورون ايضا ان حياتنا كلها اخطاء . . وهذه طبعا فكرة ليست دقيقة تماما . . فالفنان يخطىء مثل كل البشر . . ويصحح اخطاءه ايضا مثل كل البشر . . الفنان مثل كل انسان له قلب عامر بالخير . . وبالايمان . . بل أن الفنان اكثر من غيره فى حاجة الى رحمة الله . . وغفرانه . . فحياتنا العجيبة وظروف عملنا الاعجب . . والصدمات . . والعبر . . والدروس . . تقرب الفنان صاحب القلب الطيب من ربه . . وتجعله ميالا اكثر لفعل الخير . . وغالبا ما تنتهى حياة الفنان بالاعتكاف . . واعتزال الحياه . . والابتعاد عن الناس . . والتقرب الى الله . . وهناك فنانون عرفوا بطيبة قلوبهم . . وبتقواهم . . وورعهم . . اقول على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر الفنان الكبير الراحل (**عبد الوارث عسر**) . . كان مثالا رائقا للتقوى والورع . . والصلاح . . كان سلوكه دائما يدعو للاحترام . . عاش حياة الفن داخل الاستديوهات وخارجها . . وخالط الجميع . . لكنه ظل قويا بايمانه حتى آخر لحظة . . وهناك ايضا فنانون قاموا ببناء المساجد التى يؤمها المصلون . . حسين صدقى مثلا . . والكحلاوى . . ولم يفعل ذلك رغبة فى المباهاه كما يفعل الآن البعض . . بل رغبة فى العمل الخير الصادق . .

وجلس الشيخ متولى الشعراوى ومن معه . . وانا انظر الى وجهه . . وابتسامته الودود . . وكانى احلم . . مد لى يده ثم قبلنى . . وحاولت ان اتكلم . . ان اقول شيئا اهلا سيدنا الشيخ . .

وكانت زوجتى الاولى فتحية شريف اكثر منى دهشة . . لكنى لمحت على وجهها تعبير الفرح . . انها فخور بحضور الشيخ الجليل . . وبسرعة ازال الشيخ الشعراوى جو الدهشة والرهبة . . بتعليقاته المرحه انه ليس عابسا ومتجهما مثل الآخرين . . بالعكس . . وجهه بشوش . . وابتسامته لاتفارق شفتيه . . وكلماته كانت البلسم الشافى لجروحى النفسية . . وفهمت من كلامه انه قد قرا فى صحيفة (اخبار اليوم) انى اعانى من حالة اكتئاب . . خاصة بعد وفاة شقيقى التوأم . . فقرر ان يأتى لزيارتى مع وزير الاوقاف الأسبق (الأستاذ طعيمه) . . وأمام الشيخ متولى الشعراوى لا يملك المرء الا الانصات . . ان يستمع . . ان يأخذ العبره . . وبقيت انصت الى حديثه المحبب الى النفس . . حديث النفوس والايمان . . حديث الروح . . وملأت كلماته قلبى بالأمل . . بل لن اكون مبالغا اذا ما قلت ان شعورى بالاكتئاب قد زال . . ستظل كلماته تضىء قلبى وروحى . .

وليتنى استطيع أن اغادر بيتى . . حتى اذهب اليه شاكرا . . انه لا يكتفى بالقاء مواعظه . . بل يذهب بنفسه رغم انشغاله ليساعد من يعيش فى محنة . . كلماته الطيبة . . المؤمنه . . التى تداوى جروح النفوس الحزينة . . المكتئبة . .

لقد فحصنى اكثر من طبيب . . كان التشخيص واحدا . . (حالة اكتئاب) . . لكن رغم كثرة الأدوية . . كان العلاج عسيرا . . لكن الشيخ الشعراوى عالج آلام روحى . . دون أن أساله العون . . الحمد لله . . مازالت الدنيا بخير . . مازالت القلوب الكبيرة تتسع لآلام وأحزان المرضى الضعفاء . . وبعد هذه الزيارة التى لن انساها . . قررت ان انسى كل الجاحدين . . كل الذين هربوا وتركونى وحيدا . . كل الذين كانوا حولى ايام الشباب . . والثراء . . والنجاح . . ثم تلفت حولى من فوق سرير المرض فلم اجدهم . . ولم اسمع اصواتهم . . قررت بعد هذه الزيارة ان انسى كل ناكرى الجميل . . وأن اعيش بقلبى وروحى وبكل احاسيسى وجوارحى مع الخالق الأعظم . . انه الرجاء . . والشفاء . . والرحمه . . سبحانك رب العالمين .

جيل عايز يقبض

عندما اشعر بأن النوم يعاندنى . . أعود الى مذكرات أخى التوأم عبد الرحمن الذى سجل فيها تجاربه الطويلة فى مجال العمل الدبلوماسى . . البلاد التى عمل فيها . . والشخصيات الهامة التى التقى بها . . والمواقف الغريبة التى تعرض لها . . مواقف هامة فى حياة الناس . . وايضا فى حياة الشعوب . . سجل أخى تلك التجارب بأسلوبه الادبى الجميل فى كتاب (**مذكرات دبيلوماسى غير مدونه**) . . ولن أقول ان تلك الرحلات والتجارب تشبه ماكتبه (**انيس منصور**) . . فرحلات الكاتب المعروف أنيس منصور كانت تشمل العالم كله تقريبا . . لكن مذكرات اخى تشمل البلاد التى عاش فيها فترات طويله . . والتى لم يكن يراها بعين سائح يقوم بزيارات سريعة وخاطفه . . بل هى مذكرات انسان عاش طويلا فى مواطن الاحداث . . فرأى ما تحت السطح .. ومالا يراه السائح المتجول فى انحاء الدنيا . .

وعندما اكون وحدى . . وعندما لا اجد من يقرا لى بسبب ضعف بصرى . . اعود الى شريط الذكريات الذى لا ينتهى ابدا . . لأرى اجمل ما فى الناس . . واحاول الا افتش عن القبح فى نفوسهم . . ان كل اصدقاء الوسط الفنى أعزاء . . واعتقد انهم يبادلوننى نفس الاحاسيس والمشاعر الوديه . . خاصة الزملاء القدامى رفاق رحلة العمر داخل البلاتوهات وعلى الشاشه . . لن اذكر كل الاسماء لأنى اخشى ان انسى سهوا واحدا منهم . . اننى احمل لهم فى نفسى كل الحب

والاعزاز . . وليس معنى ذلك ان كل اصدقائى الفنانين من القدامى والعجائز فقط . . من ابناء جيلى الذين عاصرتهم وعاصرونى . . بل هناك كثير من الفنانين الجدد الذين احمل لهم الود العميق محمود ياسين ونور الشريف وحسين فهمى ومحمود عبد العزيز . . أن لكل واحد منهم طابعه الخاص المميز . . الفرق واضح مثلا بين محمود ياسين وحسين فهمى ليس فقط من ناحية الشكل والملامح . . بل من ناحية الشخصية وطريقة الأداء . . لكل واحد منهما شخصيته المختلفة وطريقة ادائه المختلفة . . نفس الشيء بالنسبة لنور الشريف الذى له شخصيته المحدده ولونه المميز . . اما محمود عبد العزيز فهو (الوسط) بين الاثنين محمود ياسين وحسين فهمى . . **ولا اريد ان اقول ان هذا الجيل افضل من جيلنا . . او أن جيلنا افضل من جيلهم . . فكل جيل له مزاياه وظروفه الخاصه . . ومن مزايا جيلهم انه جيل مزود بالثقافة الفنيه اللازمة . . نور الشريف مثلا تخرج فى معهد الفنون المسرحية قبل أن يظهر على خشبة المسرح أو شاشة السينما . . وحسين فهمى تخرج فى معهد السينما قبل ان يظهر على شاشة السينما . .**

لكن ارجو ان يحاولوا التقليل بعض الشيء من كثرة الظهور فى الافلام حتى لا يكون ذلك على حساب مستواهم الفني . . ان الضغط عليهم اصبح شديدا . . واصبح الواحد منهم يعمل فى فيلمين وخمسة افلام فى وقت واحد . . وأرجوا الا يكون ذلك على حساب مستواهم الفني . . ولا اقول انى لم افعل ذلك . .

لقد ارغمتنى الظروف على العمل فى خمسة افلام دفعه واحده . . وفى وقت واحد . . حدث ذلك الموقف مرتين فقط فى حياتى كلها التى قدمت خلالها (**٤٥٠ فيلما) - اربعمائة وخمسين فيلما** . . كانت المرة الأولى فى بدايات انتشارى الفنى . . عندما فوجئت بأن اغلب المخرجين الكبار القدامى يرشحوننى لبطولة افلامهم . . ولم اكن استطيع الرفض . . كنت حريصا على علاقاتى الطيبة بهؤلاء المخرجين الكبار . . وكنت ايضا امر بمرحلة اثبات وجود (**الفتى الاول) الذى اسمه عماد حمدى** . . واعددت لنفسى جدولا دقيقا ينظم لى وقتى ويضمن لى التنسيق المطلوب . . بحيث لا يؤثر عملى فى فيلم على فيلم آخر . . ووضعت الجدول امامى . . مواعيد ٢٤ ساعه . . لا وقت يضيع . . ورغم ذلك الجدول الدقيق الذى كنت احرص على تطبيقه بالدقيقة وبالثانية . . ورغم انى وزعت الجدول على المخرجين الخمسة الذين كنت اتعامل معهم . . ذهبت متأخرا عن موعدى المحدد لتصوير فيلم كان يخرجه المخرج الكبير (محمد كريم) الذى كان معروفا بدقته وانضباطه فى العمل لدرجة مدهشة . . لكن الله سلم . . ومر الموقف بسلام . . ولم يصرخ المخرج الكبير محمد كريم غاضبا . . بل

حتى لم يعاتبنى . . لانه كان يعرف مدى حرصى على مواعيدى . . لقد ادرك ان ظروفا اضطراريه خارجه عن ارادتى هى التى تسببت فى تأخيرى غير المقصود . . وحرصت بعد ذلك على الا اكرر ذلك الموقف . .

لكن شاءت الظروف بعد مرور اكثر من ربع قرن ان اعيش من جديد نفس موقف المشاركه فى خمسة افلام فى وقت واحد . . وحدث ان ذهبت متأخرا عن موعدى ربع ساعة فقط . . وفوجئت بالمخرج الذى لم يكن كبيرا . . ولم يكن مشهورا . . بل كان حتى وقت قريب مخرجا مساعدا . . فوجئت به يصرخ فى وجهى بطريقة عصبية مستفزه . . وتمالكت نفسى وأنا فى غاية التعجب . . وتذكرت الكبير القدير محمد كريم . . وقلت سبحان الله الاستاذ الكبير تسامح . . ونصف المخرج لا يريد أن يتسامح . . يريد فقط لاسباب نفسية ان يستعرض نفسه داخل الاستديو امام بقية العاملين ليثبت وجوده الذى فشل فى اثباته بعد ذلك على الشاشة !

الحقيقة اننى لم ارتكب ذلك الخطأ ـ الا مرتين فقط فى حياتى كلها . . مرتين فقط انشغلت فيهما بتصوير خمسة افلام فى وقت واحد . . ولكن مهما كان الفنان دقيقا ومنضبطا فى مواعيده . . الا انه رغما عنه سيضطر للذهاب متأخرا لأحد تلك الافلام . . فيعرض نفسه لسخافات غير مرغوبه . . ويعرض نفسه ايضا لحالة من عدم التركيز الذهنى قد تؤثر على مستوى ادائه . . وقد تؤثر ايضا على صورته فى اذهان محبيه من جمهور السينما . . لقد شاهدت منذ ايام فيلم (شاطىء الذكريات) على شاشة التليفزيون وشعرت بالفخر والاعتزاز لانى منتج ذلك الفيلم . . ولأنى مشارك فى بطولته مع بقية فنانيه وفناناته شكرى سرحان وشادية وعبد الوارث عسر وتوفيق الدقن والسيد بذير . .

بصراحه كان أهم ما يجمعنا روح الأسرة الواحدة التى لم اكن اشعر بها فى ايامى الأخيرة داخل استديوهات السينما . . وكان يجمعنا ايضا ذلك (الصدق الرائع) . . صدق العمل . . وصدق الاداء . . والرغبة الموحده فى تقديم فن سينمائى حقيقى . . لكن للأسف قد شعرت اثناء عملى فى المسلسلات التليفزيونية الأخيرة التى شاركت فى بطولتها . . شعرت بأن أغلب الجيل الجديد من الممثلين (جيل عايز يقبض) . . ان الواحد منهم لايسأل عن قيمة الدور . . بل عن قيمة الأجر . . الواحد منهم لا يقول ما هى القصة . . بل يسأل . . كم الاجر فى الحلقة . . وكم عدد الحلقات التى سأظهر فيها . . وينشغل بعمليات حسابية . . وعندما يتأكد من أنّ دخله المادى فى المسلسل معقول يوافق على العمل . . ويحرص على الظهور فى كل حلقه . . حتى أن لم يكن وجوده ضروريا من الناحية الفنيه . . بل ويحقد على الذين يظهرون فى جميع حلقات

المسلسل . . أنه للأسف انطباعى الذى كونته فى الفترة الأخيرة عن جيل ممثلى وممثلات التليفزيون . . أقولها وأنا حزين . . (جيل عايز يقبض) !

ومن الفنانين الجدد الذين احبهم جدا (محمود الجندى) ممثل يؤدى ببساطه . . بشكل طبيعى . . وبدون اى تكلف . . ممثل خفيف الظل . . حلو المعشر . . كما أن صوته جميل عندما يغنى . . أن محمود الجندى من اكثر الممثلين الذين احببتهم واعجبت بهم . . ولا أنسى فاروق الفيشاوى . . واحمد زكى . . والاخوين محمد ووجدى العربى . . هؤلاء اعتبرهم مخلصين فى عملهم لدرجة التفانى . . والاحساس بالمسؤلية . . واحترام الآخرين الاكبر منهم سنا . . هؤلاء بالذات يتميزون باخلاقهم العالية . . والاخلاق بالنسبة للفنان هامة وضرورية مثل الموهبه . . والموهبه بدون اخلاق لا تكفى . . فلا بد أن يحترم الموهوب من حوله حتى يزداد احترامهم وتقديرهم له .

واحب هنا ان اذكر واقعة لها مغزى . . لقد رفض محمود ياسين ونور الشريف وحسين فهمى العمل مع نادية الجندى فى فيلم (بمبه كشر) الذى كنت قد انتجته لها . . وكان رفضهم ذكيا . . لقد رفعوا اجورهم . . ورفضوا العمل فى الفيلم . . ولكن بطريقه غير مباشرة . . انه رفض مهذب . . له معنى ومغزى لقد وجدت ناديه الجندى نفسها فقط فى تلك الادوار التى تتيح لها امكانيات الرقص . . و (الردح) . . واستعراض المفاتن . . لكنها وضعت نفسها فى قالب واحد لن يكون فى صالحها مستقبلا . . لأن التكرار لا يفيد الفنان . . ولا يرضى جمهور السينما .

انني لن انسى كل من وقفوا معى . . كل من مدوا لى ايديهم وقت المحنة . . كل من ارتفعوا فوق مستوى الخلافات العابرة . . فالانسان فى النهاية ذكرى . . ورغم مرض زوجتى الاولى فتحية شريف الا انها كانت الى جانبى فى المستشفى . . وفى ايامى الاخيرة فى الحياة . . ورغم انشغال زوجتى الثانية شادية . . كانت معى بمشاعرها الرقيقة . . وبصوتها الحنون عبر اسلاك التليفون . . ولم تكتف بذلك . . ارسلت سيارتها لكى تنقلنى الى معهد القلب . .

البـــطل . . وكلـــمة النهـــاية !

وكما يحدث فى كل فيلم تأتى دائما كلمة (النهاية) . . وكما يحدث فى نهاية كل مسرحية يسدل ستار النهاية . .وكما يحدث فى كل مسلسل تأتى الحلقة الاخيرة . .

اننى انتظر نهاية الرحلة الشاقة الطويلة . . ولست نادما على اى طريق

سلكته . . ولا على اى قرار اتخذته . . هذه حياتي . . وهذه اخطائي . . فلماذا اخفيها واداريها ؟

ليس لى فى البنوك حساب . . وليست فى جيبى دفاتر شيكات . . وليس فى بيتى غير ما يكفى يومى . . ورغم ذلك اعتبر نفسى صاحب اكبر رصيد . . اربعمائة وخمسين فيلما . . تلك هى تركتي . . ذلك هو رصيدى الوحيد . . فاعذرنى يا ابنى العزيز (نادر) . . واعذرنى يا حفيدى (عماد) . . واعذرينى يا حفيدتى الحبيبة (مريم) . . فانا لم اترك لكم العمارات . . والعقارات . . والأطيان . . لم اودع لكم فى البنوك جنيها واحدا . . لكنى اعتقد انكم ستغفرون لى برصيدى الفنى . . افلامى . . وهو رصيد اعتز به ولا اخجل منه . . صنعته بالتعب . . والعرق . . والمعاناة الطويلة . .

لكن العجيب انه كلما تحرك شريط الذكريات . . فانه يتوقف دائما امام نفس المشهد الذى اصبح يلح على ذهنى الحاحا عجيبا . .

كنت ايامها اعيش مسلسل المرض الطويل . . تصلب الشرايين . . وجلطة القلب . . ثم جلطة المخ .. ومتاعب الاعصاب . . وبعد اعتكاف طويل فى البيت . . ارسل لى **المخرج حسام الدين مصطفى** لكى اعمل معه فى فيلم **(سونيا والمجنون)** . . لكى اؤدى دورى **(والد سونيا)** . . الأب الذى كان ممثلا معروفا . . ثم دارت الايام ليصبح مهملا فى زوايا النسيان لا يجد من يذكره . . ولا من يواسيه . . ولا من يحمى ابنته من السقوط . . فتضطر لبيع جسدها لكل عابر طريق لكى تعيش وتبقى عائلتها فى عداد الاحياء !

اعجبنى الدور . . تعاطفت مع الممثل الذى كان لامعا . . فأصبح منسيا . . الذى كان ثريا . . فأصبح معدما . . الممثل الذى كان شابا وسعيدا فأصبح صديقا للكآبة والامراض . .

لن انسى ذلك المشهد الذى لم يره المتفرج على الشاشة لانه قد حذف . . ذلك المشهد الذى كان اولادى فى الفيلم يتسابقون على مساعدتى فى ارتداء البدلة الجديدة التى ساعود بها الى الاضواء مرة اخرى . . فى دور جديد . . أو بمناسبة عودة الاضواء لى فى فيلم جديد بعد خصام طويل . . لكن سعادتى بالدور تضيع فجاة حين يعتذرون لى عن اداء الدور . . فاخلع بدلتى لاشترى بثمنها زجاجة ويسكى أغرق فيها أحزانى . . وحوار رائع مع (مانولى) الذى يعمل فى البار (بار مان) وأنا أغنى واقول (طظ فيه يامانولى . .) . .

تعاطفت جدا مع تلك الشخصية . . فى فيلم (سونيا والمجنون) بل وتوحدت

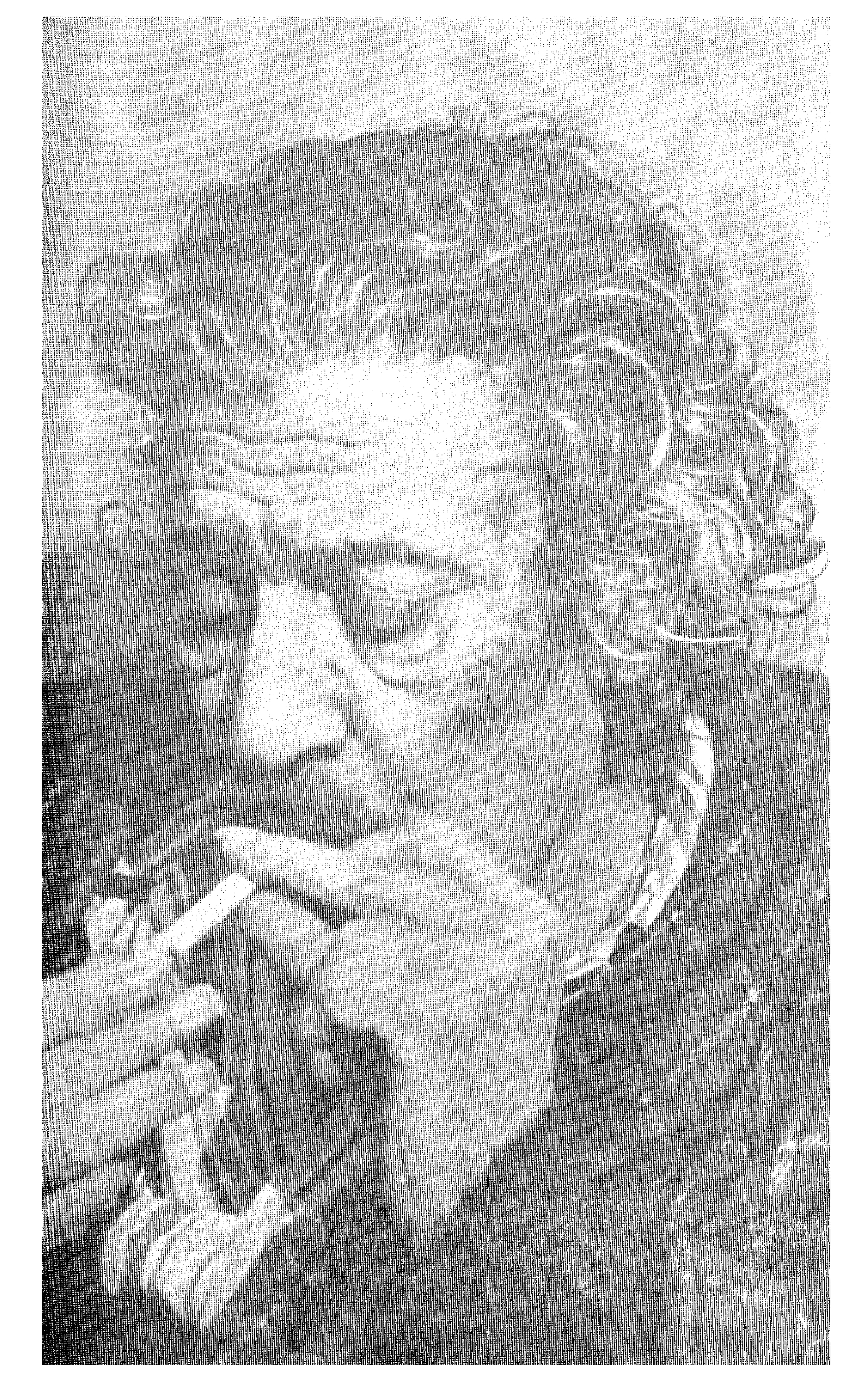
معها . . وجدت نفسى فى تلك الشخصية . . اننى مثل (والد سونيا) كنت مشهورا . . وكنت غنيا . . وكنت . . وكنت . . ثم وجدت نفسى فجأة أعيش على هامش الحياة . . على حافة الدنيا .

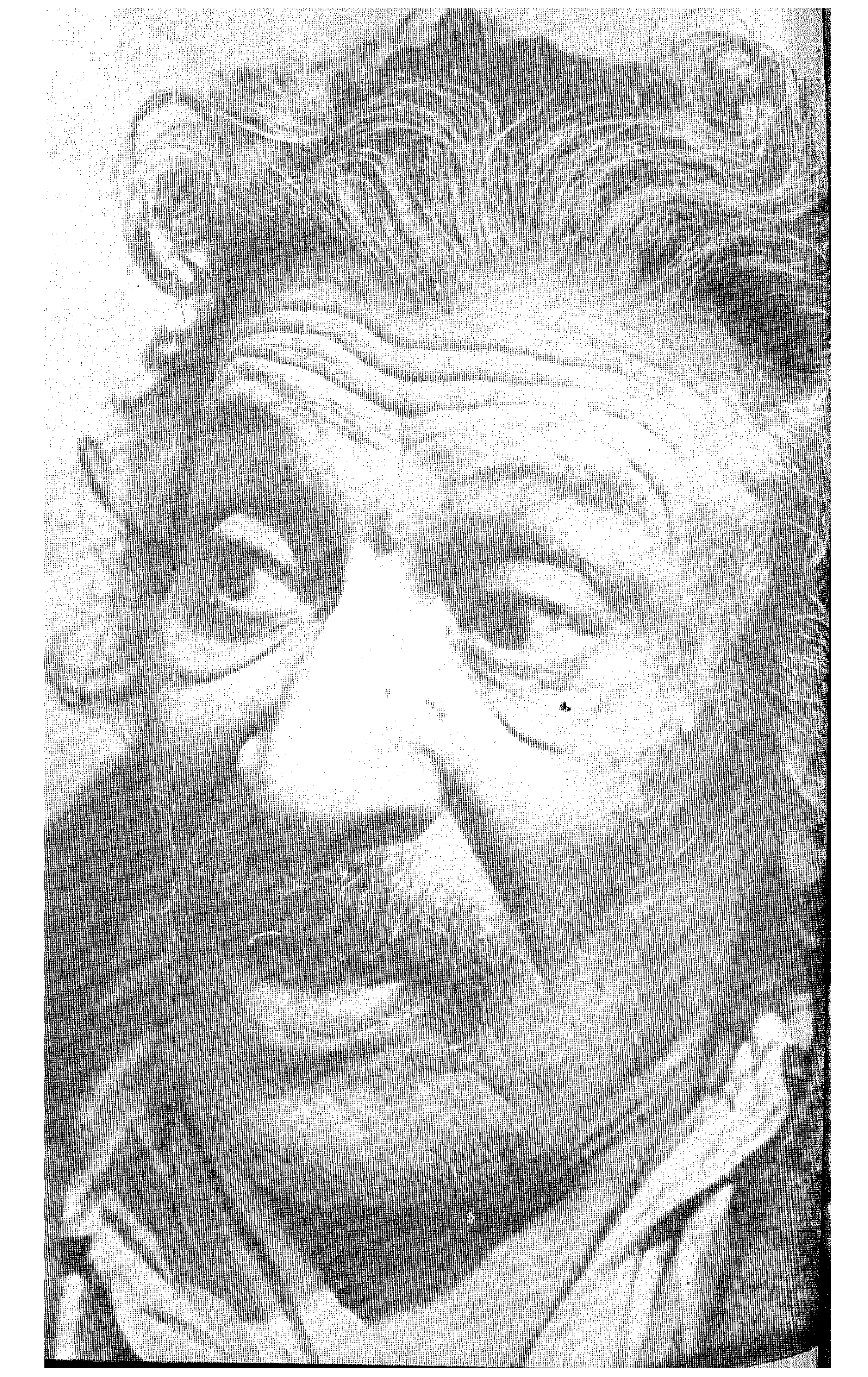
لكنى فوجئت وانا اشاهد الفيلم بعد انتهاء التصوير بأن المخرج حذف مشاهد كاملة . . وشعرت بأن الشخصية التى احببتها اختنقت . . وبأنى اختنقت معها . . وقلت للمخرج حسام الدين مصطفى ـ لماذا حذفت كل تلك المشاهد . . لقد ضاعت الشخصية . . !

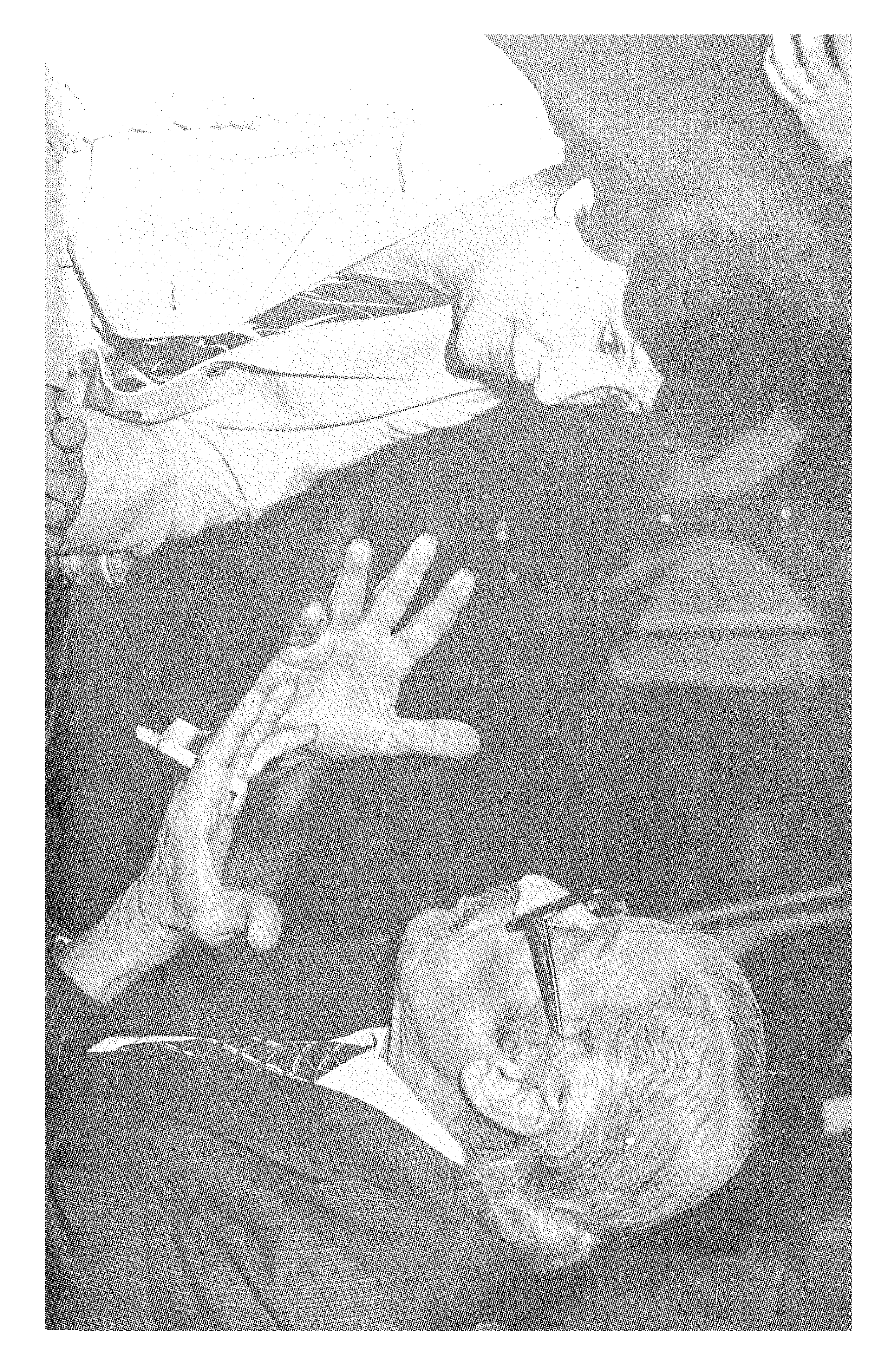
وفوجئت برده الصاعق ـ (تضيع الشخصية . . لكن مستحيل أضيع الأبطال بتوعى . . نجلاء فتحى . . ومحمود ياسين . .)

فى تلك اللحظة بالذات ادركت الحقيقة الغائبة عنى . . انى لم أعد نجما . . ولا ممثلا أول . . اصبحت مجرد (سنيد) للأبطال الجدد . . لنجوم الدنيا الجديدة . . مجرد ممثل كان كبيرا . . وكان شهيرا . . وكان فى يوم من الايام (الفتى الاول) . . وكان حاصلا على اكبر الجوائز . . وكان . . وكان . . وكان طبعا فعل ماضى . . ونحن ننسى الماضى بسرعة . . فى ذلك اليوم بالذات شعرت بانى غريب عن السينما التى اعطيتها حياتى . . شعرت بأنى زائد عن الحاجة . . وخرجت من الاستديو لاعود الى بيتى . . لانتظر من جديد كلمة (النهاية) . . هكذا الدنيا . . وجوه تظهر . . ووجوه تختفى . . اسماء تلمع . . واسماء تنطفىء . . وفى محطة السينما المزدحمة بالقادمين الجدد . . ننسى ان نقول للراحلين وداعا . . ننسى حتى ان نودعهم . . بل نتعمد اذلالهم . . وجرح مشاعرهم . . هكذا الدنيا . . صعود وهبوط . . نور وظلام . . ووسط السباق المجنون . . والزحام الخانق . . تسقط الجياد القديمة الأصيلة لاهثة متعبة . . فنطلق عليها الرصاص . . ثم ننشغل بالتصفيق للجياد الفتية التى دخلت السباق . . والبقاء للأقوى . . للأصحاء . . اشعر بأنى أهبط . . أهبط . . الظلام من حولى يزداد . . النور يتلاشى . . انفاسى تتلاحق . . شكرا لله . . شكرا لله . . الآن استريح . . أستريح !

النهـــــاية







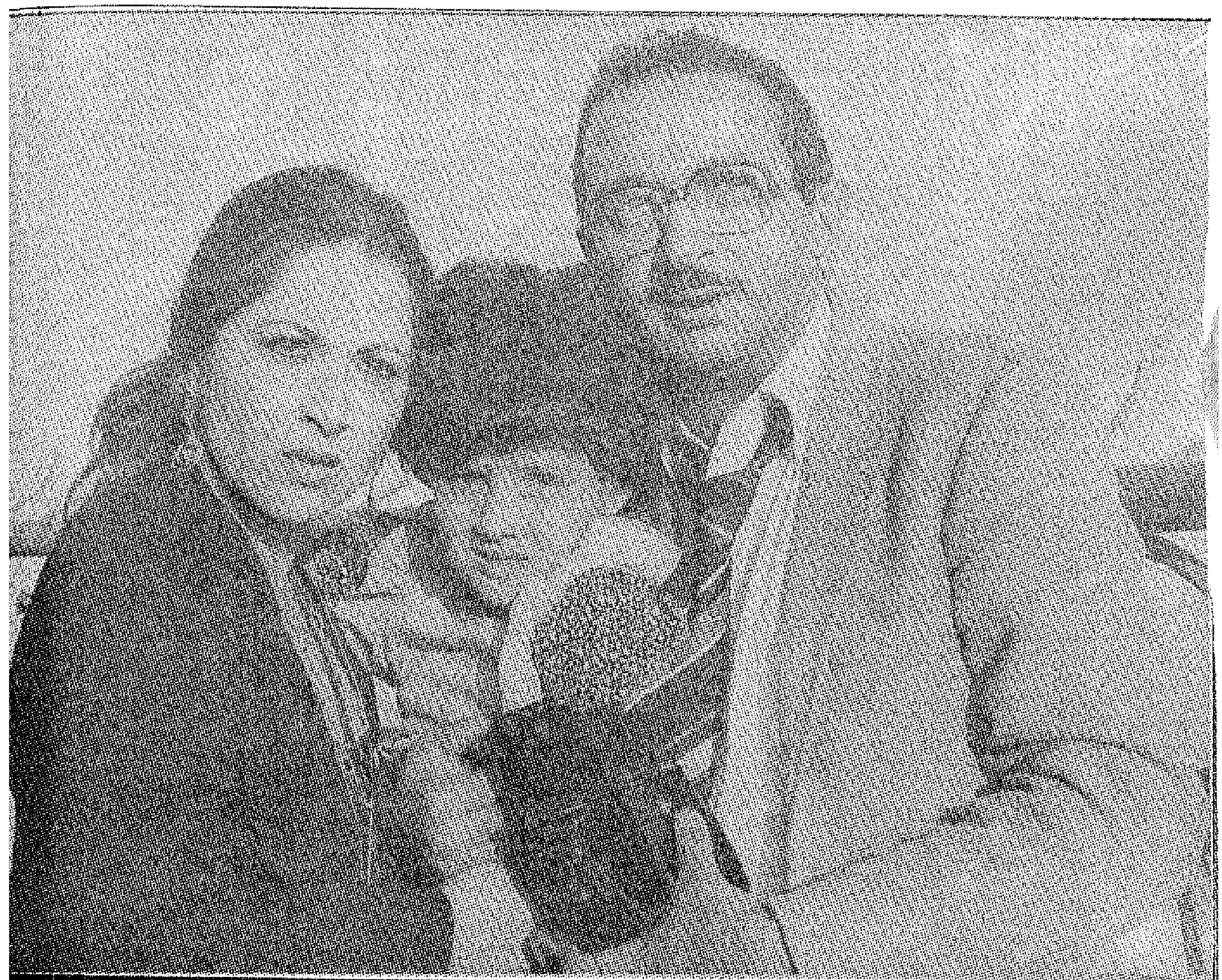



سمير صبرى
الذى قدم لكم « السلخانة »
يقدم لكم
منزل العائلة المسمومة
لاسماعيل ولى الدين
يلتقى فيه
عمر الشريف . فريد شوقى
نادية لطفى . يسرا
إخراج محمد عبد العزيز

ان . بي فيلم تقدم

نور الشريف بوسى

أحمد راتب علي الشريف سناء يونس أحمد أبو عبيه مع زين العشماوى



اخر الرجال المحترمين

قصة وسناريو وحيد حامد إخراج سمير سيف

التوزيع الداخلى :
شركة مصر للتوزيع ودور العرض

التوزيع الخارجى :
شركة تراتيل العالمية

ماجد فيلم

إنتاج أفلام سينمائية - س.ت ١٠١٦٨٦

يقدم / ماجد حسن موافى

تليفون ٧٣٦٨٣٣

صديقى الوفى

أول فيلم روائى للأطفال

فيلم للكبار والصغار

فيلم يحبس أنفاسك بمتعة

بطولة :

- الكلب إريك من سلاح كلاب كلية الشرطة
- الطفل مأمون
- سعيد صالح
- فاروق الفيشاوى
- لبلبة - نجوى فؤاد
- أمين الهنيدى
- إخراج : فاضل صالح



خرج ولم يعد

فريد شوقى - ليلى علوى

يحيى الفخرانى - عايدة عبد العزيز

توفيق الدقن - إخراج : محمد خان

مشوار عمر

سعاد حسنى

أحمد زكى

فاروق الفيشاوى

إخراج : محمد خان

سيما فيلم .. يقدم

قصة إحسان عبد القدوس

إخراج أشرف فهمي

نبيلة عبيد احمد زكي

عادل أدهم

محمد رضا
نبيلة السيد
أحمد غانم
فاروق فتح الله

الراقصة والطبال

مدير التصوير
عبد المنعم بهنسي

انتاج
فاروق فتح الله

المنتج الفني
جرجس فوزي

التوزيع الداخلي شركة أفلام النصر
محمد حسن رمزي وشركاه

التوزيع الخارجي الشركة اللبنانية للتجارة والسينما
"صباح إخوان"

أفلام أشرف فهمى تقدم

عام ٨٤ . ٨٥

أضخم إنتاج عرفته السينما المصرية

المجهول

أول فيلم مصرى عالمى





الانتاج القادم

الاستاذ يعرف اكثر

قصة **فتحى ابو الفضل** سيناريو **أحمد صالح** اخراج **أحمد السبعاوى**

أفلام مصر الجديدة تقدم

نجوى ابراهيم

احمد زكى
عادل أدهم

ليلى طاهر
مشيرة

وضيف الفيلم

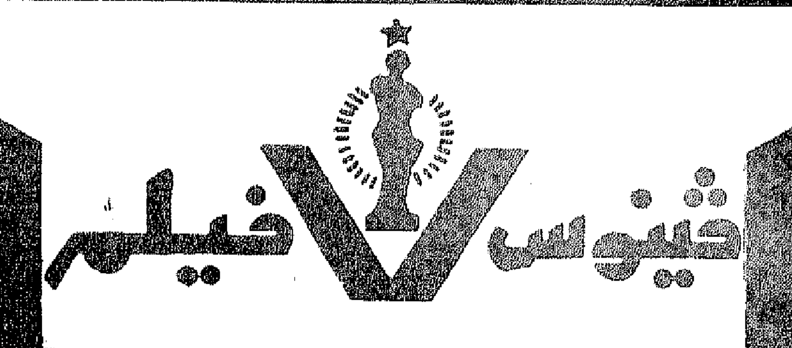
إيهاب نافع

لا الحب

إخراج

يوسف فرنسيس

المنتج الفنى / ممدوح الليثى
توزيع شركة أفلام مصر الجديدة



من إنتاج محسن علم الدين

الشركة التى قدمت لكم

- الحب وحده لا يكفى
- أشياء ضد القانون
- السادة المرتشون

تقدم : الرجل الذى عطس

سمير غانم • شهيرة • ليلى علوى • حسن مصطفى • أحمد بدير • محمود القلعاوى • فاروق فلوكس • المنتصر بالله • تصوير : سعيد شيمى • إخراج : عمر عبد العزيز

يا عزيزى كلنا لصوص

- قصة إحسان عبد القدوس
- سيناريو وحوار مصطفى محرم
- إخراج حسين كمال

العالم الآخر

- قصة نجيب محفوظ
- سيناريو وحوار مصطفى محرم
- إخراج أحمد ياسين

شهرزاد فيلم تقدم

سمير غانم ★ لبلبة

أمين الهنيدى ★ إكرامى

مع لاعبى النادى الأهلى ✻ والمطرب/ بحر أبو جريشة



احنا بتوع الإسعاف

مدير التصوير **كمال كريم** — المنتج الفنى **سيد على** — سيناريو وحوار وإخراج **صلاح كريم**

التوزيع لمصر وجميع أنحاء العالم : دولار فيلم



رياض العقاد
تقدم

صفية العمرى فاروق الفيشاوى
معالى زايد



الأرملة... والشيطان

إخراج بركات

قصة وسيناريو/ د. رفيق الصبان
حوار/ هشام السلاموني
مدير التصوير/ كمال كريم
التوزيع الداخلي/ أفلام إيهاب الليثي

التوزيع الخارجي/
الشركة اللبنانية للتجارة والاستثمار السينمائي "صباح إخوان"

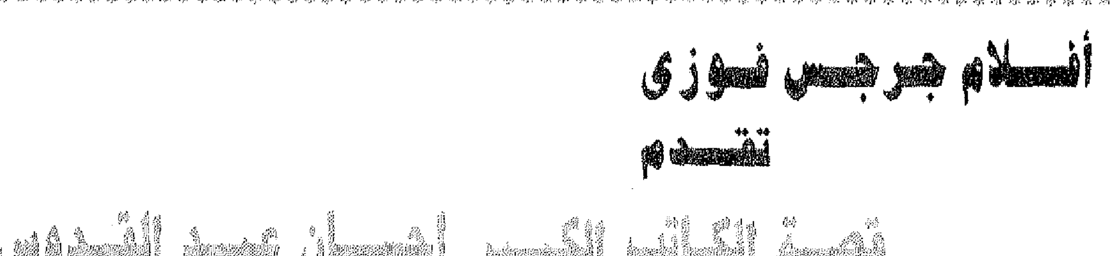


التوزيع الداخلى والڤيديو : أفلام مصر العربية ١٢ ش سليمان الحلبى

التوزيع الخارجى : شركة ترايتل العالمية ١٤ ش الاسراء - المعلمين - القاهرة

الفهـــرس

رقم الايداع بدار الكتب ٢٤٠٥
لسنة ١٩٨٤



أفلام جرجس فوزى

تقدم

قصة الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس

أرجوك . . . أعطنى هذا الدواء

إخراج حسين كمال

إنتاج جرجس فوزى

بطولة : نبيلة عبيد ومحمود عبد العزيز

فاروق الفيشاوى وماجدة الخطيب



إن حب جمهور السينما لأشهر فتيان الشاشة ـ عماد حمدى . . لم يكن سببه الوحيد أنه ممثل كبير وقدير . . بل لأنه كان المعبر بأدواره عن أنبل الصفات والفضائل . . حنان الزوج . . تضحية الأخ الأكبر . . وفاء الصديق . . تسامح الانسان الطيب . . رقة الرجل المهذب . . شهامة الفارس . . صدق العاشق .

كان عماد حمدى دائما على الشاشة . . صورتنا الجميلة . . وحلمنا الرومانسى . . وإنسانيتنا الضائعة وسط عالم مجنون . .

إنه يمثل مرحلة هامة من مراحل تاريخ السينما المصرية . .

أعطى السينما كل ما فيه من جهد . . وط
وإخلاص . . وأخذت أغلى ما عنده . . حياته .

إير

الثمن ١٠٠ قرش

مطابع الأخبار